



مجاناً مع السفير

توني بارنستون وتشاو پينغ

فن الكتابة

تعاليم الشعراء الصينيين

ترجمة: د. عابد اسماعيل



الكتاب للجميع

١٥١

توني بارنستون وتشاو پينغ

فن الكتابة

تعاليم الشعراء الصينيين

ترجمة: د. عابد اسماعيل

طبعة خاصة
توزّع مجاناً مع جريدة (السفير)

دار المدى للثقافة والنشر

٢٠١٤



مجاناً مع جريدة السفير

تصدر عن شركة السفير ش.م.ل.

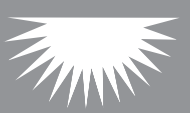


رئيس تحريرها: طلال سلمان

المدير العام: باسر نعمة

المدير المسؤول: غاصب المختار

الكتاب للجميع



التحرير والإدارة: شارع منيمنة / الحمراء/ بيروت

فاكس ٣٥٠٠٠٥ - ٧٤٣٦٠٢

ص.ب: ١١٣/٥٠١٥/الحمرا - بيرون ١١٠٣٢٠١٠

انترنت http: //www.assafir.com

Coordinator@assafir.com

- تمّت الطباعة في مطابع جريدة السفير

- تلفاكس ١/٢/٣/٤ - ٧٤٢٦-٩٦١+

سلسلة شعبية تعيد إصدارها
دار المدى للثقافة والنشر



بيروت - الحمراء - شارع ليون - بناية منصور
الطابق الأول ـ تلفاكس: ٧٥٢٦١٦ ـ ٧٥٢٦١٧
www.daralamada.com Email: info@daralmada.com

سورية - دمشق ص.ب.: ٨٢٧٢ أو ٧٢٦٦ ـ تلفون:
٢٣٢٢٢٧٥ ـ ٢٣٢٢٢٧٦ ـ فاكس: ٢٣٢٢٢٨٩

Al Mada Publishing Company F.K.A. - Damascus - Syria
P.O. Box: 8272 or 7366.
Tel: 2322275 - 2322276 - Fax: 2322289
بغداد ـ أبو نواس ـ محلة ١٠٢ ـ زقاق ١٣ ـ بناء ١٤١
مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
Email: info@almada-group.com



مقدمة

الرحلة الروحية للخيال

ولد لو – جي (٢٦١ – ٣٠٣) في نهاية حقبة الممالك الثلاث في ولاية (Wu)، في مزرعة العائلة في هوادينغ في دلتا يانغ تسي. وينحدر الشاعر من عائلة ذات تقليد عسكري غابر وبارز. جده، لو – سن، كان جنرالاً مشهوراً، وساعد في الفوز بالعرش لأول إمبراطور في ولاية (Wu) حيث كوفئ بلقب الدوق وبمزرعة هوادينغ. والدلو – جي وأخواه، شغلوا جميعاً مراكز قيادية على التخوم الشمالية، غير أن الإمبراطورية الضعيف هاو تجاهل تحذيرات والده عن أخطار محدقة من ولاية جين المجاورة وخسر إمبراطوريته في معركة نهرية حاسمة. وقد قتل أخوالو – جي في هذه المعركة. وهرب وأخوه الأصغر إلى هوادينغ، حيث بقيا هناك تحت الأسر القسري داخل بينهما لمدة عشر سنوات، مكرسين وقتهما للبحث الأكاديمي والشعر، ودراسة الفكر التاوي والكونفوشيوسي. وفي سن التاسعة والعشرين ذهب لو – جي مع أخيه إلى محكمة جين، ونجح الاثنان في بدء حياتهما الرسمية والعسكرية من جديد. في سنته الثانية والأربعين، وفيما كان يخدم كجنرال لدى الأمير (ين) في حرب ضد أخي الأمير (يي)، خان لو – جي جنرال آخر رفض أن يسانده في معركة حاسمة. وتعرضت قوات لو – جي لهجوم معاكس، واختنق النهر بالجثث. ووشى به أعداؤه إلى الأمير (ين)، وهذا ما تسبب في إعدامه تحت اتهامات ملفقة عن

الخيانة. وأعدم كل من ولديه أيضاً. وقيل إنه في الليلة التي سبقت موته، حلم لو – جي بأنه محبوس داخل عربة ملفوفة بستائر سوداء لم يستطع فكاك نفسه منها. وقد قيل إن آخر كلماته كانت: "ألن أسمع غناء الكركي في هوادنيغ ثانية؟".

كان لو – جي كاتباً غزير الإنتاج، غير أن عمله الرئيس الوحيد كان نصاً نثرياً موزوناً في النقد الأدبي تحت عنوان (فن الكتابة) أو (Wen Fu) إن تأثير هذه القطعة النثرية القصيرة نسبياً على الفكر الصيني الأدبي لا يمكن إغفاله. فقد وضع (فن الكتابة) على عاتقه مهمة "التعليق على الأعمال الكلاسيكية الأنيقة، والتطرق إلى الكيفية التي تجد نقاط الضعف والقوة طريقها إلى كتاباتنا، "بل ويفعل أكثر من ذلك بكثير. إن قيمته موزعة بالتساوي بين تقديمه فكراً نقدياً وبين كونه أثراً أدبياً خالصاً. إن استحضاره للتهيئة التي يقوم بها الكاتب للكتابة، والمرحلة التي تتشكل فيها القصائد من خلال قراءة النصوص الكلاسيكية، يصل ذروته في رحلة الخيال الروحية التي يستحوذ الكاتب من خلالها على القوى التاوية العظيمة اللازمة للارتحال عبر الفضاء الجواني والبراني، وعبر الماضي أيضاً. غير أن (فن الكتابة) هو رسالة كونية وبحث عملي بجدارة. من الرحلة الداخلية للخيال تأتي الكتابة في جميع أجناسها وأساليبها، والتي يقوم لو – جي بتصنيف العديد منها. إن المعالجة المركبة التي يقدمها كتابه (ars poetica) لعملية الكتابة هي نفسها المثل الأعلى الذي يجسد الفضائل التي يتمثلها في الكتابة. بالإضافة إلى قضايا الأسلوب والجنس الأدبي، يتناول التنقيح واستخدام الكلمات المفصلية من أجل "أن يسوط الجملة كالحصان ويجعلها تعدو". ويشير في المقدمة قائلاً: "أن تتعلم الكتابة من الأعمال الكلاسيكية، هذا يشبه رسم قبضة فأس

بواسطة فأس – النموذج موجود في يدك". مع ذلك، إن علاقة الكاتب مع نصوص الماضي معقدة، إذ إن ما يمكن أن يلهم نصك يمكنه أيضاً أن يقتل عملك إذا فشلت "بجعله جديداً". وقدم نصائح في الكتابة وناقش النبرة، والإيقاعات العالية والخفيضة، والشكل الشعري، و"النهر الميت" لكمون الكاتب، "وريح الفكر" للإلهام. وتعكس رؤيته الإلهامية لعملية الكتابة إيمانه بالقدرة الكونية للأدب: "وحيث السماء والأرض يحتويهما رأسك / لا شيء يفوت القلم الذي في يدك".

كتب (فن الكتابة) وفقاً لشكل شعري موزون ومقفى، تتخلله مقاطع نثرية، وزوجان من الأبيات المتوازية بلاغياً، حيث تشبه استخدام الشعر الغربي لتقنية ما يسمى التصالب البنيوي. (chiasmus) ومقالة لو – جي الشعرية تقارن عادة بالعمل الذي كتبه الشاعر الإنكليزي ألكسندر بوب بعنوان "مقالة في الشعر" (على نفس النموذج، تسير مقالة هوراس "الفن الشعري") بوصفها مثالاً عظيماً للنقد الأدبي المكتوب شعراً. هذه المقارنة تأخذ أهمية خاصة عندما يقارن المرء بين بلاغة بوب المقفاة والتوازي الأسلوبي لدى لو – جي. وبكثير من التواضع المتأصل، يشكك لو – جي بقدرته على الوصول إلى جوهر الكتابة ("هذا الفن لا يمكن القبض عليه حتى بأجمل الكلمات،") غير أن هذه الحيرة تفسر الطبيعة الروحية للكتابة. لا يمكن للكتابة أن تعبر عن ماهية الكتابة لأنها تمثل أكثر من ذاتها؛ إنها علاقة جوهرية ورحلة روحية تربط بين الهاجس والفعل، الكلمات والموسيقى، الذات والعالم. إن ترجمة هذا النص الغامض بصورة بارزة تطرح مشاكل خاصة. الكثير من المقاطع ليست سوى طلاسم تضم حلولاً متناقضة لا نهاية لها، وقد بني عليها نقد معذب ومحارب. ومن الممكن أن تثقل النص بالكثير من الهوامش، والكثير من المترجمين يختارون أن

يضمنوا عشرة أسطر من التعليقات لكل بيت من الشعر. هذه الجهود الأكاديمية، على أية حال، يمكن أن تشتت انتباه القارئ عن القصيدة عندما تصبح كل كلمة وكل عبارة فخاً يحيل إلى نص آخر من النقد والتأويل اللغوي. وقد ارتأينا أن نختار طريقاً أوسط عبر حقل من الشروحات المتباينة، حيث كان علينا أن نقوم باختيارات صعبة بين قراءات متناوبة، لنخرج بنص يقرأ بانسيابية، وفصاحة، والأهم من هذا ذاك، الإتيان بقصيدة شعرية متماسكة.

نص الشاعر لو – جي (فن الكتابة) قديم ومعاصر في آن معاً، ويمثل تحفة أدبية في الأدب العالمي. وقد ألهمت أجيالاً متعاقبة من الشعراء الأمريكيين. من عمل لو – جي، تعلم غازي شنايدر (في قصيدته المعروفة "قبضات الفأس") كيف تكون "حرفة الثقافة، / والمضي قدماً نحو الأمام. "الصياغة الشعرية تنتقل من العصور القديمة على متن قارب الكلمة، وتمنح لكل جيل القدرة على صياغة ثقافته من جديد، والشاعر هاورد نيمروف (في قصيدته "إلى لوتشي") يستقبل أيضاً الكلمة التي تتحدث عن الكلمات من لو – جي، ويغتبط كيف أن صوت لو – جي الهادئ والواضح يغني، بالرغم من قرون "من الغبار والوقت"، يغني أفراح الكتابة وآلامها أيضاً.

فن الكتابة

استهلال

بعد اطلاعي على وفرة من الكتاب الموهوبين، استطعت أن أطور رؤى عميقة عن حرفة الكتابة. تلك الطرق التي تشعل فيها الكلمات والعبارات فتيل المعنى، بالرغم من تنوعها، يمكن تحليلها ونقدها من خلال جمالها وأسلوبها. ومن خلال جهودي نفسها، أعرف مدى الصعوبة في أن نكتب، بما أنني دائماً أخشى أن تفشل أفكاري بالتعبير عن موضوعها وتكون كلماتي أبعد من ذي قبل عن الأفكار غير الكافية. إنها معضلة يسهل فهمها، غير أن الحل صعب المنال. وبناء عليه، بدأت بكتابة هذه المقالة الموزونة من أجل التعليق على الأعمال الكلاسيكية الأنيقة والتطرق إلى الكيفية التي تجد فيها نقاط الضعف والقوة طريقها إلى كتابتنا. آمل، ذات يوم، أن يظن بأنني قبضت على هذه الأسرار الكامنة في الكلمات. أن تتعلم الكتابة من الأعمال الكلاسيكية، يشبه رسم قبضة للفأس بواسطة فأس – النموذج موجود في يدك، غير أن المهارات العفوية اللازمة لرسم خلق جديد يقع دائماً فيما وراء الكلمات. ما يمكن قوله، على أية حال، قد أفصح عنه في ما يلي:

1- الدافع

يقف الشاعر بين السماء والأرض ويراقب الغموض المظلم.

من أجل أن أثري نفسي، أقرأ الأعمال الكلاسيكية.

أتنهد فيما الفصول الأربعة تمر بي ودفق الأشياء الحية يشعل الكثير من الأفكار.

في الخريف القاسي، مؤلم أن ترى الأوراق تعرى وتتساقط ولكن، حنونة وناعمة، تميل السويقات بالبراعم.

صقيع الصباح يزرع خشية في قلبي،

طموحي يطفو مع الغيوم العالية،

أكرس الأغاني للأجداد

وأغني الرائحة العطرة لفضائلهم.

أتجول بين الأعمال الكلاسيكية، تلك الغابة من الكنوز،

وأعشق موازنتهم الأنيقة بين الأسلوب والمضمون.

ملهماً، أضع جانباً الكتاب الذي كنت أقرأ،

وأدع الكلمات تنسكب من ريشتي.

2- تأمل

في البدء أغلق عيني. لا أسمع شيئاً.

عبر الفضاء الداخلي أبحث في كل مكان.

روحي تعدو حتى الحدود الثمانية للأرض وتحلق حتى أعلى السماء.

ضبابية ومشرقة مثل شمس على وشك الانبلاج،

قريباً تتجمهر الأفكار وتشعل الصور والصور.

عندما أشرب نبيذ الكلمات

وأمضغ أزهاراً من الكتب الستة[1]،
أسبح بحرية في النهر النوراني
وأغوص إلى سحيق البحر.
أحياناً تأتي الكلمات بصعوبة – تقاومني
حتى أقتلعها من المياه العميقة مثل أسماك علقت بصنارة،
وأحصد أبياتاً أهملت لمائة جيل
وقوافي لم تسمع منذ ألف عام.
لن ألمس زهرة في برعمها الصباحي الغض
لكنني أستعجل براعم المسار التي لم تتفتح بعد.
في رمشة عين، أرى الحاضر والماضي،
أمد يدي وألمس جميع البحار.

3- المسار

ابحث عن الكلمات وعن مدار الفكر،
واختر النظام المناسب؛
أطلق سراح أشكالها المشرقة
وانقر على الصور لكي تسمع كيف تغني.
الآن، الأوراق تنمو على أغصان الفكر
الآن، تتبع تياراً إلى منبعه.
اخرج المخبوء إلى الضوء
وشكل المعقد في البساطة.
الحيوانات ترتجف عند مرأى النسق المتبدل للنمر

والطيور تفر مذعورة عندما ترى التنين،
بعض الكلمات تنتمي إلى بعضها،
وبعضها الآخر لا يتجانس، مثل أسنان غير متسقة،
ولكن عندما يكون صافياً وهادئاً
تجد روحك الكلمات الحقيقية.
وحيث السماء والأرض يحتويهما رأسك،
لا شيء يفوت القلم الذي في يدك.
صعب أن تباشر في البداية،
ومؤلم، مثل الحديث مع شفاه متشققة،
غير أن الكلمات ستسيل مع الحبر في النهاية.
يحمل الجوهر المضمون مثلما يحمل الجذع الشجرة؛
وتتسق اللغة إلى أغصان وأوراق، وثمار.
الآن تتناغم الكلمات مع المضمون
مثلما يتناغم وجهك مع مزاجك –
ابتسم عندما تكون سعيداً
وتنهد عندما يؤلمك قلبك.
أحياناً يمكنك أن ترتجل بسهولة.
وأحياناً تكتفي بأن تعض على الفرشاة وتفكر.

4– متعة الكلمات

الكتابة متعة –
لذلك يمتهنها القديسون والمفكرون.

الكاتب يبتكر حياة جديدة في الفراغ،
ينقر على الصمت لكي يصنع صوتاً،
يثبت المكان والزمان على صفحة من حرير
ويسكب نهراً من قلب صغر الحجم.
وحيث تلد الكلمات كلمات
وتثير الأفكار أفكاراً أعمق،
تنشر عبقاً مثل زهور تضوع عطراً،
وتنتشر مثل أوراق خضراء في الربيع؛
ريح مديدة تهب، وتدور في زوبعة من أفكار،
وتنهض الغيوم من الغابة الكثيفة للكتابة.

5- الأساليب العديدة:

غير أن الاساليب متنوعة:
لا يوجد معيار مطلق لأي شيء،
وبما أن الأشياء لا تفتأ تتبدل طوال الوقت
كيف يمكننا تحديد وصف تام؟
التحكم باللغة يكشف عن مهارات المؤلف؛
والبراعة تأتي عندما تسدد البلاغة فاتورة المفهوم.
الكتابة صراع بين الحضور والغياب.
طوح عبر المسيلات، وإذا كانت عميقة، اسبح.
ولا بأس أن تهجر البوصلة والزاوية
إذا كنت مرآة تعكس الأطياف الحقيقية.

ولكي تغوي العين، استخدم أسلوباً مزخرفاً،
ولكن، لكي تسعد العقل، كن دقيقاً.
مع ذلك، لا يمكن تحديد وصف تام.
يزهر الخطاب عندما يحلق فيما وراء الكلمات.

6- الأجناس

الشعر (shi) شبكة مضيئة من العواطف؛
المقال الموزون (fu) واضح ومتماسك بوصفه شرحاً؛
النقوش التذكارية (bei) مصفاة وصادقة مع التفاصيل؛
المرثية (lei) تشابك مؤلم من الحزن؛
النقوش (ming) لطيفة ومختصرة لكنها عميقة في معانيها.
الإنشاء الوعظي (zhen) يجرك عبر منطق قوي؛
الأنشودة (song) لطيفة في نبرتها وسلسلة في أسلوبها؛
المقالات التوضيحية (lun) دقيقة ومقنعة؛
المذكرات المرفوعة للملك (zou) يجب أن تكون مناسبة وواضحة؛
النقاشات المكتوبة (shuo) يجب أن تدهش في فصاحتها؛
وبالرغم من أنه يوجد أجناس أخرى عديدة،
إلا أنها جميعها تعارض الغلو والانحراف،
وتصر على أن عليك أن تعرض رأيك
دون استخدام كلمة لا طائل منها.

7- موسقى الكلمات

مثل أشكال أخرى متحركة في العالم،
يأخذ الأدب هيئات وأساليب عديدة
حين يبتكر الشاعر الأفكار ويصوغها
عبر لغة أنيقة.
دع إيقاعات مختلفة تستخدم بالتناوب
مثل خمسة ألوان في حالة تناغم[2]،
وبالرغم من أنها تختفي وتظهر من جديد بشكل متقطع
وبالرغم من أنه يبدو طريقاً يصعب تسلقه،
إذا كنت تعرف القوانين الأساسية للنظام والتغيير
ستجري أفكارك مثل نهر في مجراه.
ولكن إذا ضلت كلماتك هدفها
فهذا يشبه مسك الذيل لإرشاد الرأس:
الكتابة الصافية تتحول إلى وحل
مثل رسم الأصفر عند قاعدة الأسود.

8- التنقيح

يمكن للجملة أن تناقض ما سبقها
أو تنتهك ما يليها.
أحياناً تكون الفكرة جيدة غير أن الكلمات تخوفها
ويمكن للكلمات الجيدة أن تكون بلا معنى.
في حالات كهذه من الحكمة أن تفرق بين الجملتين

بما أنهما يضران ببعضهما إذا وضعتا معاً.
مسألة حساسة أن تقرر أي فكرة أو كلمة هي الأنسب
اختلاف يكاد يكون أوهى من زغب السنبلة.
زن كل كلمة وفق ميزان؛
استخدم خيطاً حاسباً حين تقص وتقطع.

9- السوط الراكب

أحياناً تكون كتابتك شبكة مورقة من الأفكار الرفيعة
تتداخل فيما بينها وتحجب الموضوع.
عندما تصل إلى القطب، لا يوجد مكان آخر تذهب إليه
الكثير يصبح قليلاً إذا حاولت أن تحسن ما أنجز.
عبارة قوية عند نقطة مفصلية
سوف تمسك بالقطعة كأنها حصان وتجعلها تعدو؛
وبالرغم من أن الكلمات الأخرى تكون في مكانها،
لكنها تنتظر السوط من أجل أن ينجز سباقاً جيداً.
السوط دائماً ينفع أكثر مما يضر؛
توقف عن التنقيح ما إن تعثر على لقيتك.

10- اجعلها جديدة

ربما تمتزج الأفكار والكلمات
في جمال باهر، واخضرار وفير؛
وترهج مثل قماش مقصب،

بارعة مثل أوركسترا وترية.
ولكن إذا فشلت في جعلها جديدة
يمكنك فقط أن تكرر الماضي.
حتى عندما يكون قلبك نولك
يمكن أن يكون أحد آخر قد حاك ذاك القماش من قبل
وإذا رأيت أن تحافظ على ماء وجهك وشرفك
عليك أن تتخلى عنه بالرغم من حبك له.

11- العادي والرفيع

مشرئبة إلى الأعلى
تقف سنبلة الأرز الطويلة باعتزاز فوق الجميع،
شكل يخادع ظله
وصوتها يرفض الاصداء.
السطر الأفضل جرف شامخ.
لا يمكن حياكته في أغنية عادية.
العقل لا يستطيع أن يعثر على نظير له
لكنه يراوغ، غير راغب في أن يستسلم.
على أي حال، عروق الجواد تجعل الجبل يرتجف،
اللؤلؤ في الماء يجعل النهر غاوياً.
طائر الرفراف الأخضر يعطي حياة
حتى للأكمة الشوكية الشعثاء،

والأغاني الكلاسيكية والفلكلورية

تمتزج في بوتقة رفيعة.

12- قيثار من وتر واحد

عندما يبتكر المؤلف قصيدة قصيرة جداً

فإنها تسير مثقلة بشعور وحيد

مثل النظر إلى خلوة بلا أصدقاء

أو التحديق في السماء الشاسعة، بلا انتماء.

وتر وحيد على القيثار يكون حلواً ورشيقاً

لكنه يغني دون رنين أو تناغم.

13- تناغم

اقرن كلماتك بأصوات حادة

وسوف يخسر جمالها بهاءه.

عندما يمتزج القبيح والجميل في جسد واحد

فإن الخصلة الصالحة تلطخ.

عندما تعزف المزامير أسرع من الراقصين

فإنها تطارد بعضها بعضاً دون تناغم.

14- قلب

عندما يضحى بالعقل الطبيعي لصالح الغرابة –

سعي سخيف وفارغ باتجاه الترهات –

تكون الكلمات صماء ومكروهة
مثل أرواح مهاجرة لا يمكن أن تعود إلى سكناها أبداً.
هذا يشبه نقر وتر رقيق قرب الجسر:
تصنع الهارموني دون قلب.

15- سمو

عندما تلهث بجنون خلف خليط كورالي
مشدوهاً إلى أصوات رخيصة ومبهرجة،
فإن قصيدتك الخاطفة تتحني للذائقة العادية
مثل الإيقاعات المشاكسة للحن شائع.
القصاد الإيروتيكية لفانغ لو وشانغ جيان
تملك تأثيراً أولياً ولكنها تفتقر للرشاقة.

16- ضبط مفرط

ولكن إذا كانت قصيدتك رشيقة وصافية
وخالية من الإفراط الجامح،
فإنها ستكون أرق من حساء دون بهارات،
وأشف من الألحان الطيفية لعود المعبد.
مغن واحد وكورس من أشخاص ثلاثة
شيء جميل، لكنه يفتقر إلى الإغواء.

17- تشكيل الشكل

شذب القصيدة بحيث تكون ريانة أو نحيلة،
وعاينها بدقة وتأمل الشكل.
أجر التغييرات حيث يكون ذلك ضرورياً،
مدركاً للفروقات التي يمكن أن تحدثها.
أحياناً تنقل اللغة النيئة أفكاراً ذكية
وتحمل الكلمات الخفيفة معنى ثقيلاً.
أحياناً ترتدي ثياباً عتيقة، ومع ذلك اجعلها جديدة
أو اكتشف الصفاء في العكر.
أحياناً تراها كلها في ومضة خاطفة.
وأحياناً تستغرق الكثير من العمل.
كن مثل راقصة تقوس أكمامها على وقع الموسيقى
أو مثل مغن يرتجل على إيقاع الأوتار.
مثل حرفة صانع العجلات المعلم "بيان"[3]،
هذا الفن لا يمكن القبض عليه حتى بأسمى الكلمات.

18- الجرة المصاغة جيداً

قلبي يحترم القواعد التقليدية
وقوانين الإنشاء.
أستنهض الأعمال العظيمة للمعلمين القدامى
وأرى كيف أن معاصري فشلوا –
قصائد من أعماق قلب حكيم

يمكن أن يسخر منها عميان القلب.
والقصائد الحلوة مثل زركشة فاقعة ومرجانية
تكون شاسعة مثل نبات الفاصولياء في الحقل،
لا نهائية، مثل الهواء في الرئتين العظيمتين للعالم،
وخالدة كالكون؛
إنها تنمو في كل مكان،
غير أن يدي الصغيرة تمسك بحفنة قليلة منها.
جرتي المائية غالباً ما تكون فارغة. وهذا ما يقلقني.
أجهد نفسي حد المرض كي أوسع نصوصي.
أترنح حاملاً قصائدي القصيرة
وأرفع أغاني بإيقاعات شائعة.
لا يسعدني أبداً ما أفعله،
إذن، كيف يمكن لي أن أشفي غليلي؟
جس بيدك نصي: أخشى أنه يصر مثل إناء أرضي مغبر
وأشعر بالخجل من أغنية الجواد الموسيقي المنهك.

19- الإلهام

أما بالنسبة لومضة الإلهام
وقوانين السير على طريق الكتابة –
ما يأتي لا يمكن إيقافه،
وما يرحل لا يمكن كبحه.
إنه يكمن مثل النار في الجمر

ومن ثم يندلع على شكل صرخة.
عندما تكون الغريزة سريعة مثل حصان
لا تقدر أية جمهرة من الأفكار أن ترجعها القهقهري:
ريح الفكر تنهض في صدرك،
نهر من الكلمات ينسكب من فمك،
وكثيرة هي الأوراق المتباهية تورق
على حرير فرشاتك،
حتى أن الألوان تفيض من عينيك
والأصداء الموسيقية من أذنيك.

20- عقدة الكاتب

ولكن عندما تكون العواطف الست راكدة[4]،
تسافر الإرادة، غير أن الروح تظل مقيمة –
شجرة متحجرة ومصعوقة،
جوفاء وجافة مثل نهر ميت.
إذن عليك أن تحفر في روحك،
ابحث في نفسك حتى تنتعش روحك.
غير أن العقل يزداد سواداً فسواداً
وعليك أن تنتشل الأفكار مثل الحرير من الشرنقة.
أحياناً تعمل بجد وتبني الندم –
إذن ادفع بلؤلؤة لا عكر فيها.
وبالرغم من أن هذا الشيء ينبع مني،

لا يمكنني السيطرة عليه مستخدماً القوة.
غالباً ما ألطم على صدري الفارغ وأتنهد:
ما الذي يغلق ويفتح هذا الطريق؟

21- قوة القصيدة

وظيفة الأدب هي
أن يعبر عن طبيعة الطبيعة.
لا يمكن حجز الشعر الذي يسافر في الفضاء
ويجدف عبر مئات الملايين من السنين.
متطلعاً إلى الأمام، يشكل نماذج لبشر سيأتون،
متطلعاً إلى الخلف، يتأمل رموز القدامى.
يستطيع أن ينقذ حكومات متهاوية وجيوشاً ضعيفة؛
ويستطيع أن يمنح صوتاً لريح الفضيلة الإنسانية المحتضرة.
لا يهم كم هي بعيدة، لكن هذه الطريق ستقودك إلى هناك؛
وسوف تعبر عن أدق المعاني.
الشعر يروي القلب مثل الغيوم والمطر
ويبدل شكله مثل روح متبدلة.
محفوراً على المعدن والحجر، ينشر الفضيلة.
متدفقة بالموسيقى والأوتار، كل يوم تكون الكلمة جديدة.

هوامش: فن الكتابة

1-الأعمال الكونفوشيوسية الكلاسيكية.

2-هذه ربما إشارة مبكرة إلى التنظيم العروضي القائم على تفعيلات أربع في اللغة الصينية الكلاسيكية. الألوان التقليدية الرئيسية في الصين تضم الأبيض والأسود والأحمر والأصفر والأخضر / الأزرق.

3-تشوانغ تسو يروي حادثة جرت بين صانع العجلة (بيان) والدوق (هوان) حاكم تشي. أخبر بيان الدوق بأن حرفته تحتوي على جوهر شفيف غير قابل للتوصيل، ولا يمكنه التعبير عنه من خلال الكلمات لكي يورث حرفته إلى ابنه. الكلمات أطياف الحياة، بل أنصاف تعابير. وبناء عليه، يستنتج بيان، بأن "كلمات الحكيم"، "التي كان يقرأها الدوق "لم تكن شيئاً سوى تفل".

4-الحزن، الفرح، الكره، الحب، المتعة، الغضب. هذه القائمة مبتذلة، وأحياناً تضاف عاطفة سابعة هي الرغبة.

أربعة وعشرون أسلوباً للشعر

سيكونغ تو

مقدمة تاو الكتابة

(أربعة وعشرون أسلوباً للشعر)، الذي كتبه سيكونغ تو (837 – 908)، هو بمثابة كتاب "فن الشعر" القوي الأثر من عهد سلالة تانغ Tang، والذي صنف الشعر الصيني الكلاسيكي إلى أربعة وعشرين أسلوباً، أو جنساً أدبياً، وجسد جوهر كل أسلوب داخل كل قصيدة بمفردها. وبالرغم من غايته الاسمية – وهي تقديم الإيضاح والتعريف للممارسة الشعرية – إلا أن ما يميز هذه السلسلة من القصائد هو غموضها العسير. ومصدر هذا الغموض يتأتى، بشكل أو بآخر، من تاوية سيكونغ الملتبسة (تمتزج فيها عناصر كونفوشيوسية وبوذية)، التي تطغى على هذه القصائد، وتحول الكثير من الأبيات إلى طلاسم عرفانية غنوصية تدخل المعلقين والمترجمين في متاهات فانتازية غريبة. مع ذلك، إن تزامن الإلهام مع العرفانية، كما رأينا في (فن الكتابة)، يمكن أن يكون محض صدفة. الخيال، بكل سمو، لا حد له، وهو زلق، بحيث يصعب تقطيعه وحشره ضمن صناديق صغيرة. من هنا، فإن الرؤية المغلفة بنبرة روحية يمكن في الحقيقة أن تكشف النقاب عن المصادر المعتمة للشعر أكثر مما تفعله تلك التي تتصف

بالدقة الصارمة.

والحق أن الحركية التاوية والافتقار للاختلاف هو النقطة المركزية لكثير من القصائد كما في "الأسلوب المضمر":

إنه غبار في فضاء أزلي مفتوح،

ينسكب، ويرغي زبداً بحرياً،

ضحل أو عميق، مفرق أو موحد.

واحد من أصل ألف يضم الآلاف كلها.

"التاو"، يكتب سيكونغ، "ليس محدداً بالشكل". الشيء نفسه ينسحب على الجوهر الإلهامي الذي يمنح القصيدة زخمها. بالنسبة لسيكونغ، لا فرق بين التاو والجوهر الإلهامي للقصيدة. من هنا، فإن الشعراء مهنيو حرفة إلهية يترتب عليهم أن يكلموا ذواتهم داخلياً من أجل أن يحققوا الكمال في كتاباتهم:

إذا حررت طبيعتك

سوف تستحوذ على هذا الأسلوب.

هذا الكمال، مثله مثل الكمال الروحي، يمكن الإشارة إليه فحسب، وليس تعريفه. "إنه فيما وراء الكلمات / وهذه استعارات غير مصقولة". من الصعوبة بمكان العثور عليه، إلا أنه يأتي إليك من تلقاء ذاته. ويجب أن يتحقق من خلال "عوز الرغبة" وعبر "عوز الجهد"، ذلك أنه، في التاوية والبوذية على حد سواء، تكون الرغبة، ويكون الجهد، وأي تمسك آخر قوي بالعالم، عوامل تقيدنا إلى وجودنا اليومي العادي.

ينحدر سيكونغ من عائلة مرموقة، شغل معظم أفرادها مناصب حكومية في إقليم شانجي، غير أنه شذ عن القاعدة ولم تكن

حياته بالزاهية، إذ اتصفت بالنفي وعدم الاستقرار السياسي. مع ذلك، كان سيكونغ محط حفاوة في زمنه نظراً لقصائده ونقده. تأثر تأثراً قوياً بالتقليد الكونفوشي، لكنه اتجه لاحقاً إلى التاوية والبوذية، بعدما خاب أمله في حياته الرسمية. ويحكى أنه عندما تم خلع الأسرة التانغية وقتل لي يو، آخر إمبراطور تانغي، أضرب سيكونغ عن الطعام حتى الموت، احتجاجاً على ذلك.

أربعة وعشرون أسلوباً للشعر

1- الأسلوب الذكوري والحيوي

مثل عضلات عظيمة لربلة الساق وهي تنتفخ أثناء العمل

يفيض الجسد الروحي في الداخل؛

في العودة إلى طاقة الخواء الأول

تأتي الخصوبة والقوة الذكورية.

عشرة آلاف قضية محتواة في هذا الأسلوب

تمتد من أقصى الأفق إلى أقصاه –

برية لا نهاية لها من الغيوم تسيل كالزيت

أو كريح طويلة آتية من اللانهاية.

فيما وراء جميع الظواهر

ستجده عند مركز الدائرة[1].

اقبض عليه دونما جهد

وسوف يأتي إليك بلا نهاية.

2- الأسلوب الرزين

امكث بووضح في صمت هادئ

قلباً رقيقاً وحساساً للأمور الصغيرة.

اشرب من تناغم الذكر والأنثى،
وحلق راجعاً على جناح غرنوق وحيد[2]؛
ومثل نسيم ناعم
يرتجف فوق مئزرك،
مثل هسهسة خيزران نحيل
سوف يمكث الجمال معك.
تفوز بهذا الأسلوب، ليس من خلال التفكير عميقاً.
إنه ينحل ويصبح لا شيء كلما اقتربت منه،
وحتى عندما يبدو شكله قريباً
يمكن أن يتحول إلى نقيضه في يدك.

3- الأسلوب الرشيق

الماء الجاري يومض ويومض،
والربيع النائي يزهر ببذخ.
عميقاً في واد هادئ
لمع من امرأة جميلة.
خوخ زمردي اللون. الأشجار متخمة.
ضفة نهر من الريح والشمس والماء.
في ظل الصفصاف طرق تتحلزن.
طيور الصفار تسكب الأغاني، الواحدة تلو الأخرى.
امتطه واذهب بعيداً وسوف يحملك أبعد.
وكلما أمعنت التحديق، اتضحت حقيقته أكثر.

وإذا لم يكن هذا الأسلوب قابلاً للاستنفاذ،
عليك أن تأخذ القديم وتجعله جديداً.

4- الأسلوب الفعال

غابات خضراء، كوخ بري.
شمس غاربة في الهواء الشفاف.
أخلع غطاء رأسي وأمشي وحيداً،
وغالباً أسمع غناء العصافير.
ما من بجعة طائرة تجلب لي رسائل
من صديقي المسافر حتى الآن.
مع ذلك، من أشتاق إليه ليس بعيداً.
في قلبي نحن كلانا معاً.
ريح المحيط تهب عبر غيوم زمردية.
جزر ليلية وقمع ساطع.
بعد سطر واحد جيد، توقف.
نهر عظيم ينداح في طريقك[3].

5- الأسلوب السماوي القديم

السيد التاوي يمتطي مهره (Chi)،
زهرة لوتس في يده،
يطفو عبر دوائر الزمان والمكان،
لا مرئياً معتماً، لا يترك أثراً.

يبزغ القمر بجانب نجمه القطب الشرقية

وتهب ريح مواتية.

جبل (هوا) أزرق في الليل.

صوت جرس نقي يسمع في البعيد.

بروح بدائية في قلبك الخاوي

تعلو فوق هذا العالم الصدئ

مثل الإمبراطور الأصفر والملك الحكيم ياو[4]،

متشبعين بجوهر التاو.

6- الأسلوب الكلاسيكي والأنيق

أشتري النبيذ بكأس من اللؤلؤ.

في كوخي المسقوف بالقش أحب المطر.

مفكرون كبار يجلسون حول طاولتي.

الخيزران يقف عالياً، يساراً ويميناً.

غيوم بيضاء وشمس تطلع بعد المطر بقليل.

عصافير لا مرئية يطارد بعضها بعضاً.

أنام في فيء أخضر مع كمنجتي.

على مرمى النظر شلال هابط.

الزهور الساقطة خرساء.

مثل الأقحوان لا أرغب بشيء.

اكتب عن أيام السنة المزهرة

وستقرأ قصائدك بكل متعة.

7- الأسلوب المغسول والمصفى

مثل معدن خام يصبح ذهباً

أو رصاص يتحول إلى فضة،

أعمل لكي أصهر القصيدة

وأعشق ما لا يلطخ أو يكسر[5].

النبع يتدفق من البحيرة حين يكون صافياً.

المرايا القديمة تعكس الروح إذا صقلت.

الجسد النقي يجمع الصفاء؛

أمتطي صهوة القمر لكي أعود إلى التاو.

أنظر إلى كوكبة النجوم

وأنشد من أجل النساك.

في الماء السابح اليوم –

القمر المضيء لجسدي السابق.

8- الأسلوب الرصين

تلك الروح المرتحلة تماماً في فضاء

تهز جوهرها مثل قوس قزح

تشبه (ووغورج)، ثلاثة آلاف ياردة عن منحدر النهر،

أو الغيوم الراكضة العالقة في الريح.

اشرب نخب (تشي) والقوة كلها

احتفظ بالصفاء واحرس قلبك

وسوف تنطلق بقوة الكواكب.

هذا ما يسمى تخزين الطاقة.
هذا الاسلوب مثل السماء والأرض:
كل منهما تتحرك وفقاً لنفس القوانين.
انشده في الحقائق
وسوف تحكم السيطرة حتى النهاية.

9- الأسلوب المزخرف والحسن

عندما تكون روحك ثرية
يخف الذهب في نظرك.
الحبر يجف عندما يكون كثيفاً جداً؛
لون خفيف غالباً ما يكون أعمق.
بقايا ضباب عند المياه
حيث المشمش الأحمر يزهر في الغابة.
بالقرب من بيتي المزخرف قمر ساطع
وجسر ملون تحت ظل أخضر.
الأقداح الذهبية تطفح بالخمر
فيما أنا أعزف على القانون لكي أسلي ضيوفي.
أشعر أنني سعيد جداً ومرتو.
قلبي مثقل بالبهجة.

10- الأسلوب الطبيعي

انحن فوقه أينما كنت والتقطه –

لكنك لا تستطيع ان تأخذه من جيرانك.
اذهب مع التاو
وما تكتبه سيكون حسناً كالربيع.
هذا يشبه لقاء الزهور في براعمها،
ومثل رؤية السنة وهي تتجدد.
ما إن يوهب لك، لا يمكن أن يسرق،
بل احصل عليه بالقوة وستكون فقيراً في الحال.
ناسك في جبل خاو
بعد أن يلتقط المطر الطحالب
ويفوز بهذا الإلهام الهادئ،
متجولاً هنا وهناك مثل عجلة خزاف السماء.

11- الأسلوب المضمر

دون كلمة واحدة
يعبر عن الجوهر.
دون الحديث عن البؤس
يطلع حزن جامح.
هذا صحيح، أحد ما خفي يسيطر على العالم؛
ومع هذا الكائن تطفو أو تغرق.
هذا الأسلوب مثل عصر نبيذ طافح،
أو مثل زهرة على وشك التفتح تتكفئ إلى برعمها.
إنه الغبار في فضاء أزلي مفتوح،

ينسكب، ويرغي زبداً بحرياً.
ضحل أو عميق، مفرق أو موحد.
واحد من أصل ألف يضم الآلاف كلها.

12- الأسلوب الجريء وغير المقيد

راقب الخلق دون محرمات.
امضغ برية شاسعة، وابصقها ثانية.
مع التاو أنت تعود إلى الروح
وترى نفسك طليقاً في كل مكان.
رياح السماء أمواج تتكسر فوق أمواج
والجبال البحرية زرقاء بل أكثر زرقة:
إنك طافح في الداخل بالقوة الحقيقية
حتى أن ثمة عشرة آلاف صورة بمتناول يدك.
إشارة واحدة تستميل الشمس والقمر والنجوم
أو تجعل طائر الفينيق يتبع في إثرك.
في الفجر تقيد ست سلاحف كبيرة تحمل الأرض
وتغسل قدميك عند الشجرة العملاقة حيث تبزغ الشمس.

13- أسلوب الروح المكتنزة

تريد أن تعود إلى المنبع اللانهائي؟
انتظره وسوف يأتي إليك
مثل سرير ساقية عبر تموجات براقة.

زهرة غريبة تكونت ها هنا للتو.

في الربيع الأخضر، ببغاء.

غصينات صفصاف، وأبراج قرب بحيرة.

جبل زمردي. ناسك يأتي.

نبيذ صاف في كأس عميقة.

مع هذه الفعالية ترتحل بعيداً

دونما أثر للرماد الميت.

إنها تخلق طبيعة الطبيعة.

من بإمكانه أن يحكم عليك؟

14- الأسلوب الدقيق والمتأني

هذه الحرفة تترك آثاراً ملموسة،

لكنها تكاد تكون غير مرئية.

مع صورك التي تتحفز للانقضاض على الحياة

يكون ابتكارك مذهلاً للتو:

ماء يجري، وزهرة تتفتح.

قطرة ندى على وشك أن تجف.

الطرق الرئيسية الطويلة بعيدة،

الطرق الصغيرة تتعرج بطيئة.

وحيث اللغة ليست مصقولة جداً،

والأفكار ليست راكدة،

هذا الأسلوب يكون حقل ربيع أخضر،

أو قمراً ساطعاً فوق أرض مغطاة بالثلج.

15- الأسلوب الجامح والمتهتك

التزم بطبيعتك

صادقة وغير ملجومة.

كل ما تلتقطه يجعلك غنياً

عندما يكون الصدق صديقك.

شيد كوخك تحت شجرة صنوبر،

ارم قبعتك واقرأ قصيدة.

تعرف إذا كان الوقت صباحاً أو مساءً

ولكن ليست لديك فكرة من أية سلالة.

افعل ما يلائم هاجسك.

ما يضيرك أن تحقق غايتك؟

إذا حررت طبيعتك

سوف تستحوذ على هذا الأسلوب.

16- الأسلوب الصافي والنادر

وسط الصنوبر النحيل والساطع

تتدفق تموجات مرتجفة.

ثلج تضيئه الشمس يغطي الضفة.

وسط المياه قارب صيد.

شخص مبتهج، يشبه المهر،

بقبقاب للرقص، يبحث عن مناظر خفية،
يمشي ثم يتوقف
فيما زرقة السماء تمتد وتمتد.
هذه الروح عتيقة ونادرة
لكنها شفافة جداً بحيث لا يقبض عليها –
مثل ضوء القمر في الفجر،
إشارة خريف في الهواء.

17– الاسلوب الملتوي والملتف

متسلقاً جبال تاي هانغ،
تتشعب منعرجات الماعز عبر الخضرة.
غيوم سوداء تجري مثل فرس منهوك القوى
ورائحة الزهور تظل عالقة.
تصرف فقط عندما يكون الوقت مناسباً،
مثل رنيم ناي من هضبة التيبت.
عندما تبدو وكأنها تتلاشى، تعود.
من الصعب أن تجدها، مع ذلك هي ليست خفية.
خطوط المياه تلتف وتتعرج
مثل طائر الزوبعة الذي يدور حول نفسه(6).
لا يؤطر التاو بشكل.
أحياناً يكون دائرياً أو على صورة مربع.

18- أسلوب المشهد الواقعي

استخدم كلاماً مباشراً جداً،
بلا تصور مسبق أو حسابات عميقة.
التلقائية التي تهبط على الناسك
هي رؤية قلب التاو.
سبيل رقراق يتعرج
وسط ظلال من الصنوبر المرمري.
رجل يحمل حطب الغابة،
وآخر يصغي لعازف القانون.
اذهب حيث يقودك مزاجك.
أن لا تسعى بقصد، هذا شيء رائع.
مع بعض الحظ تتعثر
بهذا الصوت الكريستالي النادر[7].

19- الأسلوب الحزين والمؤثر

أعصار يتلوى فوق المياه،
ويهشم الغابات.
هذا الحزن له نكهة الموت.
تستحضر السكينة. لكنها لا تأتي[8].
مائة سنة تمر وتندثر،
الثراء والنبل رماد بارد.
وحيث التاو يأفل يوماً وراء يوم

من يستطيع أن يكون بطلاً؟

محارب نبيل يمسح سيفه.

حزنه يملأ العالم

فيما وريقات ساقطة تهس وتتطاير

والمطر ينهمر فوق طحالب سوداء.

20- الأسلوب الوصفي

بقوة ركز روحك

وقلب صوراً واضحة وحقيقية

كأنك تتصيد انعكاسات في الماء

أو ترسم نهاراً في ربيع مبلل بالشمس.

أطياف متحرك للريح والغيوم،

الروح المزهرة للعشب،

البحر الذي يمزقه الموج

والجبل المحطم الذي يطقطق -

هذه جميعها مثل التاو.

متساوقة، تنتمي إلى الغبار نفسه.

اقبض على الشبه ولكن بدل الهيئة

وستتمكن تقريباً من هذا الأسلوب.

21- الأسلوب المتجاوز

إنه ليس الروح تعمل.

إنه ليس من لغز الطبيعة.
إنه الطريقة التي تعود فيها الغيوم البيضاء
على جناح ريح واضحة.
إذا شوهد من بعيد، يبدو واضحاً،
لكنه يتبدل حين تقترب.
مع نفخة خفيفة من التاو
سينتهي بك المطاف مختلفاً عن البقية
جبال ضاجة، أشجار باسقة،
أشنيات مذهبة، ضوء شمس –
غن هذه الأشياء، وفكر بها
حتى تتأى وتختفي الأصوات جميعها.

22- الأسلوب الطافي والرائق

في العزلة العميقة، مستعداً للطيران،
يكون المرء فخوراً ووحيداً،
مثل طائر الكركي في جبال هاو[9]
أو الغيوم على قمة جبل هوا.
ناسك يختزن الهارموني في الداخل
بوجه وديع مبتسم.
ومثل دخان طائر تحمله الريح
يطفو عبر آفاق لا حدود لها.
صعب أن تقبض على هذا الأسلوب

لكنك تستطيع أن تسمعه تقريباً.

أولئك الذين يفهمون، ينتظرون.

إذا سعيت في طلبه، ينسحب.

23- الأسلوب الواسع ذي القلب الكبير

لا نعيش أكثر من مائة سنة

نمكث قليلاً وسرعان ما نرحل.

السعادة قصيرة بمرارة؛

الكآبة والقلق يفيضان.

لماذا لا تأخذ جرة من الخمر

وتزور كل يوم زهور الوستارية؟

دع الزهور تغطي سقفك المصنوع من القش.

دع أمطار الجبال تعبر.

عندما ينتهي الخمر

خذ غصن كرمة وانشد بصوت عال.

أية حياة لا تنتهي بالموت؟

الجبال الجنوبية وحدها تبقى[10].

24- الأسلوب الجاري

ينطلق مثل طاحونة الماء

ويتحول إلى ومضة من اللؤلؤ.

إنه خارج الكلمات

وهذه استعارات مثلومة.

الأرض تدور حول محور خفي

والكون يدور بطيئاً حول محوره.

إذا فتشت عن الأصل

سوف تعثر على حركة موازية.

اصعد عالياً إلى الضوء الروحي،

ثم اغطس عميقاً في اللا شيء المعتم.

كل الأشياء منذ آلاف السنين

مرهونة بالجريان.

هوامش: أربعة وعشرون أسلوباً للشعر

1–مركز الدائرة يوحي بالفراغ، واللاجدوى، وهو النبع التاوي اللامرئي. وكما يقول النص القديم المسمى ":(Tao Te Ching)" اصنع وعاء من الفخار؛ / وسيجعله الفراغ في الداخل مفيداً. ارسم أبواباً ونوافذ لكي تصنع فرقة؛ / تلك الفتحات تجعلها ذات جدوى. من هنا، تستفيد مما هو حاضر، / غير أن الفائدة تأتي من الغياب."

2–إشارة إلى سلسلة من الحكايات الصينية التي تصور التاويين الذين صاروا خالدين وهم يحملون على جناح طائر الغرنوق. أما تناغم الذكر والأنثى فإشارة إلى عنصري (Yang) و (Yin) في الفلسفة التاوية حيث يمثلان جوهرين متكاملين. (Yin) يمثل قوة الأنثى، وهو جوهر مضيء وإيجابي.

3–هذا السطر الأخير يشير إلى مخاطر الكتابة المفرطة. إذا أسهبت وأفرطت، فإنك تخرج خارج نطاق هذا الأسلوب. السطر الجيد يوقفك مثل نهر عظيم. وتتردد أصداؤه عميقاً في داخلك، الأثر ذاته يصفه بيتان من الشعر يعودان إلى حقبة التانغ: "الأغنية انتهت، والموسيقى ذهب، / غير أن النهر والجبال الخضراء تظل تغني".

4–تقليديا ينظر إلى كل من الإمبراطور الأصفر والملك ياو كقائدين روحيين وأخلاقيين نموذجيين.

5–هذه إشارة إلى مقطع من نص لكونفوشيوس يسأل فيه: "أليس شيئاً قاسياً ذاك الذي تطحنه ولا ينقص؟ أليس لونه أبيض إذا كان الدهان الأسود لا يبقعه؟"

6–ما يشار إليه هنا على أنه طائر العاصفة أو كما يسمى بالصينية (peng)

هو مرادف لطائر الرخ العملاق في حكايات (ألف ليلة وليلة). يقول تشانغ تزو: "ثمة طائر يدعى بينغ، ظهره كبير مثل جبل تاي، وجناحاه مبسوطان كالغيوم. يمتطي صهوة الإعصار في السماء لمسافة ثلاثين ألف ميل".

7-معنى هذه القصيدة يتمحور حول مسألة أن الكاتب يمكن أن يتعثر صدفة بمشاهد مثيرة لا يمكن أن تأتيه من خلال خطة مدبرة، ويشبه بالتاو الذي يوجد فقط من خلال قلة الجهد. أحد المعلقين من حقبة كينغ، وهو سون ليان كوي، وجدا هذا الأسلوب في الشطرين التاليين لصديقه يوان هاي: "حيث لا يصل القمر، / يكون صوت الربيع أكثر سواداً. "ذروة هذه اللحظة تأتي من الطبيعة وليس من التفكير الزائد".

8-في هذا البيت المركب، يستخدم سيكونغ رمزاً قديماً للإشارة إلى المثل صعبة المنال. الشاعر المحزون يستحضر الجمال، والسلام ومثله العليا. كما يستحضر المرء حبيباً أو صديقاً عزيزاً، غير أن الدعوة لا تلبى. يرى المعلقون أن هذا البيت يشير إلى الشاعر العظيم كويوان، الذي يخاطب ملكه من منفاه في القصيدة الشهيرة: "لقاء الحزن".

9-هذا البيت يحيل إلى حكاية في كتاب (سير الخالدين) حيث يطير الخالد وانغ زيكياو من أعلى قمة جبل هاو محمولاً على ظهر كركي أبيض.

10-الجبل الجنوبي معروف في الشعر الصيني كمكان للسلام والسكينة في المعتقد التاوي. وغالباً ما يظهر في أشعار وانغ وي وتاو يوان مينغ.

لمع من لآلئ الشعراء

حررها: وي كينغ زهي

مقدمة عنقود من الجواهر النقدية

(لمع من لآلئ الشعراء) مجموعة نادرة تعود إلى حقبة سلالة سونغ (Song)، وتضم مزيجاً فذاً من الأقوال المأثورة لمبدعين كثر، وقصصاً طريفة عن الشعر والشعراء، وتعليقات موجزة ومكثفة، إضافة إلى قواعد التأليف الأدبي. وتعتبر الأفضل في جنسها، كاشفة عن الذائقة الرفيعة لمحررها وي كينغ زهي. ووي من سكان مدينة فوجو في الإقليم الفوجي. ولا نعرف سوى القليل عن حياته. لا نعرف متى ولد أو متى توفي. وبالرغم من المؤشرات التي تدل على موهبته العظيمة، إلا أنه ابتعد عن درب التخصص الأكاديمي. لكننا نعرف أيضاً أنه كان عاشقاً كبيراً لشجيرات الأقحوان – حتى أنه زرع الآلاف منها!.

الموسوعة المؤلفة من عشرين مجلداً، والتي أنجزها وي، تقوم على جمع شذرات مقتضبة تأخذ شكل ما يسمى (shi hua) أو ما يمكن ترجمته "حديث الشعر"، أو "تعليقات على الشعر". وبالرغم من أن تواريخ وي غير معروفة، ولا نعرف متى أكمل المجموعات، لكننا نعرف أن مقدمة هوانغ شينغ لها كتبت في عام 1244، وهذا يعني أن الكتاب لا بد وأنه أنجز قبل هذا التاريخ. إنها مختارات لأعمال أولى،

بعضها يعود إلى سلالة تانغ وما قبلها، بالرغم من أن الجنس الأدبي المعروف بـ "حديث الشعر" انطلق لاحقاً، ويقال إنه بدأ في عهد سلالة سونغ. وقد حاكى هذا النمط أويانغ خيو (1007 – 1072) في مجموعة مؤلفة من ثمانية وعشرين تعليقاً أدبياً، وسمى الكتاب ببساطة (تعليقات على الشعر). والحقيقة أن معظم تعليقات أويانغ موجودة في كتاب (لآلئ الشعراء) ولو بأشكال موسعة أو مختزلة وأحياناً معدلة. وباستثناء مثال واحد، عزلنا تعليقات أويانغ وارتأينا أن نأخذها من مصادرها الرئيسية وضمها إلى هذه المختارات. لقد كانت غاية أويانغ المتواضعة في عمله هي أن يقدم مجموعة تسهم في "المحادثة العفوية"، وبالرغم من أن معلقين ونقاداً لاحقين ظلوا يقيمون هذه التعليقات المكثفة، الطريفة والساخرة، غير أنهم أرسوا أيضاً معايير جدية للتمييز بين الأجناس الأدبية، منوهين عن الفضائل، ومنظمين عملية كتابة الأدب. عناصر بوذية وتاوية وكونفوشيوسية تدخل في صلب هذه المختارات من كتاب (لآلئ الشعراء) كما أن العنوان نفسه يشير إلى دواء خيميائي تاوي قيل إنه يمنح الخلود. كما أنه يشير مجازياً إلى عملية كتابة الشعر بوصفها عملية صقل اللؤلؤ. هذه الشذرات النقدية تشبه التبر أو غبار الذهب – وهي بمثابة هوامش نقدية جميلة.

النصائح الشعرية الكثيرة التي يقدمها العديد من مؤلفي (لآلئ الشعراء) سوف تبدو مألوفة للكثير من معلمي الكتابة الإبداعية اليوم: جميع الكليشيات يجب أن تذهب؛ كن دقيقاً؛ الكثير من الجهد يمكن أن يقتل التدفق؛ أهمل بقسوة كل ما يمكن أن لا يوظف؛ البساطة صعبة التحقيق؛ لا يمكن أن تكون كاتباً إذا كنت كسولاً جداً في القراءة. ولكن عندما تغلف النصيحة بثوب حكاية أو طرفة أو استعارة

ساحرة، أو مثال حاذق، فإننا نزدرد ذاك الدواء الشعري بسهولة. مثل حكم نيتشه، أو ولاس ستيفنس، أو السخرية الأدبية لدى أوسكار وايلد، أو رسائل وهوامش رينيه ماريا ريلكه، فإن هذه العجائب النثرية المختصرة تحرف وتفجر الأبهة، وتثبت الحقائق الجوهرية، وتدون التأملات الأدبية لعقول عظيمة، وتصبها في شكل مركز ومكثف.

لمع من لآلئ الشعراء

وصفات الشعر

التعليقات على الشعر هي مثل وصفات الأطباء: إذا لم تكن دقيقة، فهي عديمة النفع، بما أن الوصفة الرديئة لا قيمة طبية لها. وحده الطبيب الجيد قادر على الحكم فيما إذا كانت الوصفة فعالة أم لا، ووحده الشاعر الوحيد قادر على أن يعرف فيما إذا كانت التعليقات صحيحة أم لا. هذه المختارات ليست بالعمل السهل.

من: مقدمة (لمع من لآلئ الشعراء) هوانغ شين

إحراق الشعر

أني رأيت عملي القديم، أريد أن أحرق القصائد التي أكره. مي ياوتشن يهنئني قائلاً: "إنك تحرز تقدماً".

من: "ملاحظات" سونغ زيجينغ

لا تمش خلف الآخرين

لكي يستمر عملك من جيل إلى جيل، يجب أن يكون لك أسلوبك المتميز. إذا كنت دائماً تستخدم فرجاراً لرسم دائرة ومسطرة لرسم مربع، سوف تظل عبداً دائماً. وكما يقول القدماء، لا يمكنك أن

تبني بيتاً داخل البيت. يقال أن لو جي كان يتجنب زهرة الصباح في تفتحها الكامل ويجمع عوضاً عن ذلك براعم المساء التي لم تتفتح بعد. هان يو يقول يجب التخلي عن جميع الكليشهات – هذا هو جوهر النثر. (كتاب الصياد المتنسك على نهر زهاو) يشير إلى أن ذلك ينطبق على الشعر أيضاً. إذا اكتفيت بتكرار الكليشهات وتقليد الأعمال القديمة دون تغيير أو أفكار أصيلة، كيف يمكنك أن تصبح شاعراً مشهوراً؟ هوانغ لوزهي يكتب قائلاً إذا تبعت أحدهم سوف تظل دائما في الخلف التابو الأول في الكتابة هو أن تمشي خلف الآخرين.

من: "ملاحظات" سونغ زيجينغ

لا تضرب البط!

لو شي لونغ، محافظة ولاية خوان، تعود أن يتلذذ بضرب النساء المسجلات كوصيفات البلاط، "عاهرات الحكومة" اللواتي كن يخدمن المسؤولين. هؤلاء المغنيات البنات كن يحاولن الهرب دائماً، لكنهن لم يكن يستطعن الفكاك منه. ذات يوم وصلت وصيفة من هانغ زو إلى ولاية خوان. وبسبب موهبتها وجمالها، وقع شي لونغ في غرامها، وعندما أراد شي لونغ أن يضربها بقضيب خيزران، راحت تتوسل إليه والدموع تنسكب من عينيها: "لا أريد أن أنكر ذنبي. أخشى فقط أن هذا الضرب يمكن أن يجعل تلك السيدة من هانغ زو جزعة". صفح عنها شي لونغ وتركها وشأنها. لدى سماعه هذه الحادثة، كتب مي ياوشن القصيدة التالية:

لا تضرب البط!

سوف تخيف البجعة.

البجعة التي حطت على شاطئ البحيرة الشمالي
ليست طائراً أصلع عجوزاً فوق جزيرة معزولة.
حتى الطائر الأصلع يريد أن يحلق بعيداً
فما بالك ببجعة ذات جناحين طويلين؟

من: "تعليقات الناسك على الشعر"

تنوير

لكي تؤلف، تحتاج إلى تنوير. غير أن ذلك يأتي بالعمل الجاد فقط: لا توجد طريقة أخرى للفوز بذلك.

من: "قواعد لأطفال المدارس" للشاعر لوي

السيف والفرشاة

إذا كتبت مدفوعاً برؤية تنويرية، سيكون عملك بشكل طبيعي أفضل من أعمال معاصريك. يهبط الإلهام عند الحد الفاصل بين العمل الجاد والكسل. بهذه الطريقة، وبينما كان زانغ تشانغ شي يراقب مدام غونغ سون وهي تؤدي رقصة السيف، انتابه إشراق مفاجئ عن فن الخط. وكان قلب زانغ مركزاً بكليته على فن الخط لدرجة أنه عندما رأى هذه الرقصة، طور بصيرة جديدة حول تخوم عالية عن هذا الفن. ربما شخص آخر يشاهد رقصة السيف يعتبرها غير مناسبة. هذا يتسحب على فن الخط والكتابة.

لو جورن

قصائد ريفية

كتب وانغ جيانغ:

أغلق البوابة لكي أبقي الوعل البري في الداخل

وأتقاسم طعامي مع طائر الحجل.

وي يي كتب أبياتاً مشابهة:

عندما أغسل محبرتي، تشرب الأسماك الحبر

عندما أغلي الشاي، تهرب طيور الكركي مع الدخان.

يحاول الشاعران أن يصفا حياة ناسك ما، لكنهما يكتبان الهراء. كيف يمكن للوعل والحجل أن يكونا بتلك الوداعة؟ من غير الممكن أن يحدث ذلك. قصيدة وي يي ممكنة ولو من بعيد على الأقل. قارن ذلك ببيت يقول "أصبحت الطيور وديعة، حتى أنها تأكل الطعام من شرفتي"، أو ببيتين لسو دونغ بو يقول فيهما: "دائماً أترك فتات الأرز للفئران / وأعطف على اليرقات حتى أنني لا أشعل شموعي". هذه الأبيات أكثر معقولية، ولن يسخر الناس منها.

من: "تعليقات على الشعر" ليونغ

طرق لقتل منظر طبيعي

كتب يي شان – وهو اسم آخر للشاعر التانغي لي شانغ وين – نصوصاً متفرقة، وقسمها فيما بعد إلى أكثر من عشرة أصناف. أحد تلك الأصناف الطريفة سماها "طرق لقتل منظر طبيعي". وهنا بعض الأمثلة:

اغسل قدميك بنبع صاف.

وجفف مئزرك فوق الزهور.

ابن بيتك قبالة الجبل.

واحرق قيثارتك لكي تشوي طائر الكركي.

اشرب الشاي قبالة الزهور.

واصرخ تحت شجرة الصنوبر.

من: "تعليقات على الشعر" لخي كينغ

نصيحة للمتبدئين

خير لك أن تكون غير بارع من أن تكون ذكياً، وأن تكون واضحاً من أن تكون مدعياً، وفجاً من أن تكون ضعيفاً، وغرائبياً من أن تكون مبتذلاً. هذا ينطبق على الشعر، وعلى النثر أيضاً.

من: "تعليقات على الشعر" لهو شان

لا يمكنك أن تفرضه قسراً

لا يمكن فرض الشعر. يباغتك عندما يتضافر المزاج والزمان والمكان. إنه جيد بحد ذاته. لتملك فكرة عامة في ذهنك قبل أن تكتب قصيدة. القصيدة الطويلة يجب أن تدور على الأقل ثلاث مرات.

شان غو

كن دقيقاً

الشعر الجيد يسطع أبهى من القصائد الأخرى. عندما يكتب شعراء مختلفون عن الموضوع نفسه، تتفرد الجواهر فقط. عندما

سافرت على الطريق باتجاه سيشوان وتوقفت عند محطة زوبـي، استرجعت بيتين من الشعر للشاعر شي مان كينغ:

في عقلي يجري الماء في البعيد.

خارج حزني الجبال القديمة ما تزال خضراء.

بالرغم من أن الناس يحبون هذين البيتين، لكنهما بالنسبة لي يمكن أن يصفا تقريباً أي مكان، بالرغم من أنهما كتبا عن هذه المحطة.

من: عين الشعر

لا تحاول جاهداً

هوانغ لو زهي قال لغو غونغ بو: "لماذا تبذل قصارى جهدك عندما تكتب قصائدك؟" هذا يلبي الفكرة – درس جيد للمبتدئين.

خوا يان زهو

انقل الفكرة وليس الاسم

يقول سو دونغ بو: "الرسامون الجيدون يرسمون الروح، وليس الشكل. الشعراء الجيدون ينقلون الفكرة وليس الاسم". وهنا إحدى قصائده:

مقارنة الرسم بالشيء

تشبه الكيفية التي يحاكم فيها الطفل الرسم.

إذا ظننت أن قصيدتك هي الكلمة الأخيرة في الموضوع

يعني هذا أنك لست شاعراً.

من: اللحم المحرم

صورة ذاتية

مع نهاية حقبة السلالات الخمس، نان تشو تشاي من هوليان، سافر إلى ولاية ين. أراد الحاكم هناك أن يزوجه من ابنته. كان لتشو تشاي لتوه زوجة اسمها خي، لكنه قرر أن يقبل هذه الدعوة من الحاكم وأرسل شخصاً لكي يحضر له قيثارته ومخطوطاته، عاقداً العزم على أن لا يعود إلى زوجته الأولى. لدى سماع خي ذلك، وهي كاتبة ورسامة موهوبة، جلست أمام المرآة وراحت ترسم صورة لنفسها، وكتبت هذه القصيدة:

قبل أن أستخدم فرشاة رسمي الحمراء والخضراء،

أحمل مرآتي الزمردية.

إنها لدهشة أن أرى وجهي الوحيد

وأتحسس شعري الذاوي.

من السهل أن ترسم هاتين العينين المتعبتينت

ولكن من الصعب أن ترسم الألم في الداخل.

أخشى أن تنسى كل ما يتعلق بي

لذلك، من فضلك، انظر إلى هذه الصورة بين الحين والآخر.

شعر تشو تشاي بالخجل من نفسه لدى تسلمه لكل من الرسم والقصيدة، وأقلع عن فكرة الزواج، عائداً أدراجه إلى خي، حيث مكث معها البقية الباقية من حياته.

من: التاريخ المفقود لسلالتي تانغ وسونغ

سيد الكلمة الواحدة

عندما كان زينغ غو في مدينة يوان زهو زاره زاي جي وقدم له قصائده. فيما يلي بيتان من قصيدته المعنونة "براعم الخوخ المبكرة":

ثلج عميق في القرية المجاورة.

كوكبة أغصان أزهرت في الليلة الماضية.

وعلق زينغ غو قائلاً: إذا كانت "كوكبة أغصان" أزهرت، فإنها ليست براعم "مبكرة"، لذا من الأفضل أن تقول "غصن واحد". وحياه زاي جي بوصفه معلماً. منذئذ، راح النقاد الصينيون يصفون زينغ غو بسيد الكلمة الواحدة.

من: "إضافات على السلالات الخمس" لتاو يو

يجب أن لا تكون الأبيات مسهبة

الشعراء بين حقبتي تانغ وجين كتبوا العديد من الأبيات الجيدة، لكنهم غالباً ما كانوا يستخدمون بيتين ليقولوا الشيء نفسه. هذان مثالان على ذلك:

زهور اللوتس الجديدة ترتعش فيما الأسماك تلعب.

تسقط التويجات عندما تتفرق العصافير.

صرخات زيز الحصاد تهدئ الغابة

نداءات العصافير تدهن الجبال بالسواد.

أبيات مثل هذه ليست رديئة، غير أن المشكلة تكمن في الإسهاب.

من: "تعليقات على الشعر" لكاي كوان فو

الإسهاب، مرة أخرى

متأملاً بالمثالين السابقين، اقترح وانغ آن شي استبدال البيت "نداءات العصافير تدهن الجبال بالسواد" ب "الريح تتوقف غير أن التويجات تستمر بالسقوط"، وبهذه الطريقة يصبح البيت الأول موحياً بالحركة داخل السكون، والثاني يبتكر السكون داخل الحركة.

من: ملاحظات شينغ كو

أبيات جيدة

عندما كان لوغونغ يرى أبياتاً جيدة، كان يسجلها على حائط غرفته. على سبيل المثال:

لا شيء يستطيع أن يمنع الزهور من السقوط.

مثل أصحاب قدامى تعود طيور السنونو.

بأناة أفتش مخبأ نقار الخشب.

بهدوء أراقب خيط عنكبوت من الحرير يطفو على الأرض.

من: ملاحظات الصندوق الأسود

النداء المتدحرج للأشباح ودكتور رياضيات

وانغ، ويانغ، ولو، ولاو، شعراء مشهورون. غير أن للناس ملاحظات على أمراضهم الشعرية. على سبيل المثال، يحب (يانغ) أن يستخدم أسماء أناس قدامى، ونحن نسمي ذلك "النداء المتدحرج للأشباح" أما الشاعر (لو) فيحب استخدام الأرقام في شعره، ولذلك يسميه الناس "دكتور رياضيات".

من: ربيع الكنوز

الطريقة اللماحة

عندما يكتب زهينغ غو قصيدة عن الأوراق المتساقطة، فإنه لا يذكرها مباشرة، مع ذلك يستطيع الناس أن يستنتجوا الموضوع من خلال قصيدته:

من الصعب على النمل العائد أن يجد أوكاره،

ومن السهل على العصافير أن تجد أعشاشها.

الناسك لا يضيق ذرعاً بها حتى وإن غطت الشرفة

غير أن عامة الناس لا يطيقون حتى واحدة منها.

من: غرفة الدراسة الباردة

مرض التشابه غير المقصود

عندما كان تشينغ شي ميغ حاكماً على ولاية هونغ زهو، بنى لنفسه غرفة للتأمل في مكان إقامته. وقد أحب هذه الغرفة كثيراً حتى أنه كان يذهب إليها كل يوم، وقد حفر هذين البيتين على حجر:

مهما أكن مشغولاً، آتى إلى هنا كل يوم.

وغالباً ما آتي في منتصف الليل، حاملاً فانوساً.

رأى الشاعر لي يوان غوي هذين البيتين وضحك قائلاً، "هذه قصيدة عن الذهاب إلى التواليت!"

من: ملاحظات النافذة الشرقية

ثلاث طرق للسرقة

ثمة ثلاثة أنواع للسرقة الأدبية في كتابة الشعر. اللص الوقح

يسرق الكلمات. بيت تشينغ جو القائل: ”ضوء الشمس والقمر فضيلة سماوية“ مأخوذ من بيت فوتشانغ يو القائل ”ضوء الشمس والقمر شفاف“. النوع الثاني من اللصوص يسرق الفكرة. تأمل بهذين البيتين لشن تشين كي:

بقايا الصيف تهرب من البحيرة الصغيرة.

البرودة تصل قمم الأشجار الباسقة أولاً.

الآن تأمل بالبيتين الأصليين لليوهون:

التموجات تتصاعد في البحيرة.

الخريف يأتي على أشجار الحور العالية.

الصنف الثالث من السرقة لا يترك كبير أثر. بيتان لوانغ تشانغ لين تقولان:

بسمكتي شبوط في يدي

أرى الأوز البري يهوي في البعيد.

البيتان الأصليان لكي كانغ يقولان:

عيناي تودعان طيور الكركي المهاجرة.

ألوح لها، رافعاً قيثارتي عالياً.

من: تنويعات في حديقة شعرية

لا تترك آثاراً ولا تقع في الفخ

عليك أن تصوغ القصيدة بالطريقة التي تقص فيها لؤلؤة، بحيث لا تترك أثراً لأدواتك. صوب باتجاه عين الثور، ولكن لا تطوح في الوحل. هذا ما يجعل الشعر صعباً. تأمل هذين البيتين عن شجر الصفصاف للي شانغ جين:

قبل أن تتفتح الأوراق، يبدأ الربيع بالتململ.

أغصان باكية لا حصر لها من الصفصاف تهز الفجر.

آثار أدوات الشاعر هنا واضحة للعيان. ثمة مثال آخر من قصيدة شي مان كينغ عن براعم الخوخ:

يمكنك أن تحسبها شجرة دراق، لكنها بدون أوراق خضراء.

يمكنك أن تحسبها شجرة مشمش، لكنها ذات أغصان متشابكة.

هذه القصيدة ملتزمة جداً بموضوعها لدرجة أنها تطوح في الوحل.

مجهول

يجب أن تزول الكليشهات

صديق أتى إلي ومعه قصيدة تبدأ بعبارة "البرودة في تشرين الثاني..."، فسألته: "هل لاحظت كيف يستخدم دوفو أسماء الشهور في هذه القصيدة؟ على سبيل المثال: الأمواج ترتفع في أذار. هنا، استخدم الشاعر أذار لأن الأمواج الضخمة يصعب رؤيتها في هذا الشهر. وخذ هذا المثال أيضاً: تموز يأتي بشمس باردة وريح باردة. استخدم تموز لأن برودة متأخرة كهذه ظاهرة غير مألوفة. لكن العديد منا يكتبون أبياتاً على شاكلة (البرودة في تشرين الثاني) حيث يجب علينا أن نتجنب تلك التعبيرات".

من: عين الشعر

المهمارة في كلمة واحدة

في كل سطر يجب أن تكون هناك كلمة مفصلية لها فعل عقار

سحري أو لمسة ميدوسا لكي تحرك البيت الشعري. على سبيل المثال، يكتب مينغ هاو ران قائلاً:

الغيوم النحيلة ترقق نهر السماء الفضي[1].

الكلمتان المفصليتان في هذين البيتين هما "ترقق" و "تنقر على"، وبدونهما لن يكون البيتان جيدين. ذات مرة، اشترى السيد تشن مجموعة شعرية لدو فو غابت منها الكثير من الجمل[2]. على سبيل المثال، هنا بيت غابت من الجملة الأخيرة:

الجسد الخفيف للعصفور...

وطلب تشين من ضيوفه أن يكملوا البيت. منهم من اقترح "ينقض كالسهم"، أو "يحط"، أو "يحلق"، أو "يهبط" ولكن لم يستطيعوا أن ينفقوا على الكلمة الأفضل. واستطاع تشين فيما بعد أن يحصل على نسخة أفضل من ديوان دو فو حيث وجد أن البيت في الأصل يقول: "الجسد الخفيف للعصفور ينقض كالبرق". تنفس السيد تشين الصعداء واعترف بأن الكلمة الأصلية لدو فو هي أفضل بكثير.

من: كتاب الصياد الناسك على نهر زهاو

بسيط وطبيعي

لتتقن أولاً الأناقة ومن ثم ابحث عن الأسلوب البسيط. الكثير من الناس هذه الأيام يكتبون قصائد سطحية فجة ويهنئون أنفسهم لأنهم أتقنوا الأسلوب البسيط. لا يسعني إلا أن أسخر من ذلك. الشعراء يعرفون بأن البساطة صعبة. ثمة قصائد توضح المتانة التي يتطلبها الأسلوب البسيط:

اليوم، كما في الأيام الخوالي،

من الصعب أن تكتب قصيدة بسيطة.

– مي ياوشن[3]

زهرة اللوتس تنهض من الماء الصافي

بشكل طبيعي، ودون زخرفة.

– لي باي

الأبيات البسيطة والطبيعية هي الأفضل.

من: خريف مشمش ولغة مقفاة

بعض الأبيات لخي لينغ يون

عشب الربيع ينمو في البحيرة الواطئة.

الصفصاف الباكي يصبح عصافير تغني.

كثير من الناس لا يفهمون لماذا هذه الأبيات جيدة، لأنهم يبحثون عن أشياء خارقة. هذه الأبيات جميلة لأنها عفوية، وتخلو من النحت المفرط، مع ذلك لا يمكنك أن تكتبها بالاعتماد على السليقة وحدها. قلب سر الشاعر هنا صحيح. أولئك الذين يبذلون جهداً مفرطاً لا يفهمون.

من: تعليقات شي لينغ على الشعر

بعض الأبيات لتاويوان مينغ

وأنا أجمع زهور الأقحوان عند السياج الشرقي

عيناي الكسولتان وقعتا على الجبل الجنوبي.

سو دونغ يقول إن هؤلاء الذين لا يفقهون الشعر يريدون أن يغيروا

هذه الأبيات لتاو يوان مينغ، مستبدلين كلمة "وقعتا" ب "تراقبان" هذه مقايضة الذهب بالزبالة. حاول باي جويي أن يقلد أبيات تاو بهذه الطريقة:

بين الفينة والأخرى أسكب كأس النبيذ،
جالساً أراقب الجبل الجنوبي الشرقي.
أعتقد أن هذه محاكاة ضعيفة جدا[4].

من: ملاحظات الشاعر فو

أقرأ أكثر واكتب أكثر

سر الكتابة يكمن في الكتابة أكثر والقراءة أكثر. الكثير من الكتاب ينتابهم القلق لأنهم لا يكتبون إلا القليل، ذلك لأنهم كسالى في القراءة. في كل مرة يكتبون قصيدة يريدونها أن تكون الأفضل بين القصائد، ولكن من المستحيل تقريباً أن يحققوا ذلك. من خلال المواظبة على الكتابة، تكتشف الأخطاء والعيوب في ما تكتبه، ولن تنتظر من الآخرين أن يشيروا إليها بالبنان.

– سو دونغ

أبيات محكمة وبليغة

شاعر يدعى غو خيانغ زهين صار مشهوراً بفضل بيت كتبه مي ياوشن عنه: "في مقلع للحجارة تحت ضوء القمر سمعت الخالد المطرود يغني ثانية". هذا البيت يوحي بأن غو هو تجسيد للي باي ("الخالد المطرود" هو لقب لي). أما أفضل الأبيات المعروفة لخيانغ زهين فهي هذه:

تحليق لا نهائي للطيور عبر سماء المساء الزرقاء.

ريح بين القصب عندما يتوقف الصياد عن الغناء.

عندما كان سو دونغ بو آمراً على ولاية كيانغ تانغ زاره غو خيانغ زهين وقدم له مخطوطاً يضم قصائده. ومن ثم ألقى شعراً بصوت عال لدرجة أنه أحدث صدمة لدى المستمعين. لاحقاً سأل غو الوالي سو دونغ: "كيف رأيت قصائدي؟" أجابه سو دونغ: "جيدة مئة بالمئة" اغتبط غو وأصيب بالدهشة، ثم قال: "حقاً؟ كيف؟" فأجابه سو قائلاً: "سبعون بالمئة خطابه وثلاثون بالمئة شعراً".

من: تعليقات زهي فانغ على الشعر

ادفع أو اطرق

عندما أتى الراهب جيا داود إلى لويانغ، كان يحظر على الرهبان أن يخرجوا من صوامعهم بعد حلول الظهر. كتب جيا داو قصيدة حزينة حول ذلك، وأحبها هان يو كثيراً وساعده بالحصول على إذن بأن يصبح رجلاً من العامة. وفيما يلي قصة لقائهم الشهيرة.

عندما يفكر ملياً بقصائده، غالباً ما كان جيا داو يصطدم بأناس ذوي أهمية كبيرة دون أن يعي ذلك. ذات يوم، وفيما كان يمتطي حماره، خطرت له هذه الأبيات:

الطيور تعود إلى أعشاشها على الأشجار خلف البحيرة.

راهب يطرق بابا في ضوء القمر.

لكنه لم يستطع أن يقرر فيما إذا كان يجب أن يستبدل كلمة "يطرق" بكلمة "يدفع"، وراح يصنع إشارات مجنونة على ظهر حماره، مرة يشخص الدفع وأخرى الطرق. وفيما كان يفعل ذلك، التقى بموكب

رئيس البلدية، هان يو، ونسي أن يفسح له الطريق. ألقى الحراس القبض عليه وأحضروه إلى هان يو، وطلبوا منه أن يشرح حركاته تلك. أوضح أنه كان يحاول أن يحسم أمره بخصوص الكلمتين. فكر هان يو ملياً وقال أخيراً: "(يطرق) هي الأفضل". وأصبحا على جناح السرعة صديقين فيما بعد[5].

من: ملاحظات خيانغ سو

قارب فوق القمر

ديبلوماسي كوري كان يسافر على متن قارب عبر البحر، بدأ يرتجل قصيدة تقول:

طيور البحر تطفو وتغطس.

غيوم الجبل تتفرق وتتحد.

الشاعر جيا داو، عندما سمع ذلك، تظاهر بأنه مجذف وأكمل القصيدة:

المجاذيف تشق طريقها عبر السماء بين الموج.

والقارب يتزلج فوق القمر في المياه.

صرخ الديبلوماسي الكوري، مندهشاً "ممتاز! هذا جيد حقاً" وبعد ذلك، لم يتكلم عن الشعر ثانية[6].

من: ملاحظات جين شي هول

الفراشة خيي

كتب الباحث خيي أكثر من ثلاث مئة قصيدة عن الفراشات،

فسماه الناس "الفراشة خيي". وقد كتب بعض الأبيات الجميلة منها:

لمحات من فراشات تبحث مسعورة عن زهر الصفصاف

لا يمكن أن تجدها عندما ترقص فور زهر الدراق.

مساء ربيعي: نهر وسماء، ودودة، وريح رقيقة.

الفراشات تتبع خطى بائع الزهور عبر الجسر.

ومن الشعر القديم ثمة أبيات من مثل:

فوق الدرب عبر الحقل تمر الفراشات،

وبين الزهور تشدها أجنحتها، فتطفو إلى الخلف.

جسدها كله مطلي بالمساحيق كالغندور

قلبها مثل دون جوان يسرق العبق[7].

وهذه الأبيات ليست بنفس العمق الذي تتمتع به قصائد خيي.

من: تعليقات قديمة وحديثة على الشعر

تدوين الحلم

لي زين يان، والمعروف أيضاً بخي غو، حلم ذات مرة بأنه ذهب إلى قصر حيث مئات الوصيفات في القصر يرمين بكرات حريرية في كل مكان[8]. كانت كل منهن تنشد قصيدة، ولكنه عندما استيقظ لم يستطع أن يتذكر سوى ثلاث منها:

العيد يستمر طوال النهار والليل.

القمر ينسكب فوق الدرج المرمري.

في الفخر أشعر أنني المفضلة

وأسأل الآخرين أن يساعدوني كي أجد كرتي الحريرية[9].

خريف واضح سجن في قصر عائلة (سوي)،
التي رأت ذات مرة تشان جوان يرمي كرة الحرير [10].
الآن، المفاتيح الذهبية والقيثارات الثمينة صامتة.
فقط برج سامق يشرئب صوب القمر.
أكره ملوك سلالة (سوي)
إنهم يمسكون بخصورنا ويضاجعوننا مثل بط الماندرين[11].
الآن آتي إلى القصر حيث ترمى كرات الحرير،
حيث مشاعل البخور الذهبية
لم يعد لها تلك الرائحة المزكية التي كانت من قبل.

من: مدونات هاو كينغ

قصيدة البلشون أو ابن الماء

زهانغ زهونغ لديه قصيدة عن البلشون تقول:
من أعمق أعماق البحر المظلم
يتلقط البلشون سحلية الماء، ويرجع كالسهم.
ويعلق زهانغ وين باو قائلاً: "إنها جيدة، غير أن ساقي البلشون طويلتان إلى حد ما".

من: حوادث راهنة على بحيرة جينغ

ظلال ثلاثة

كتب زهانغ زيي الأبيات التالية:
طافياً مع الطحلب البحري، أرى ظل الجبل.

غيوم في الأعلى تنشق. قمر. الأزهار تلعب مع الظلال.
يقذف المد ظله على الحائط.

ولأن الناس أحبوا هذه الأبيات الثلاثة، صار زهانغ يلقب ب "سيد الظلال الثلاثة".

من: تعليقات على الشعر

التوسل من أجل هرة

في الخريف فلتت الفئران من عقالها لأن قطتي ماتت.
تتسلق الجرار وتنسل بين الأواني من أجل أن توقظني.
سمعت أن هرتك ستنجب مهاداً من الهررة لذا اشتريت
هذه الأسماك المربوطة بغصن صفصاف.
أيمكنني أن أصطحب واحدة منها إلى البيت؟

هذه القصيدة طريفة وممتعة، وبعد ألف عام يقرأ المرء الحالة وكأنها حدثت للتو.

من: تعليقات على الشعر، لهاو شن

أبيات من سلالة التانغ العظيمة

عامل الحصان باحترام إذا كنت ما زلت مدينا لأحد.
صبي المهمات المستعار لن يعيرك أي اهتمام.

– ياو هي

من هاذ البرج العالي يدهشني اتساع العاصفة المطرية.
عندما تسقط الأوراق تشعر المدينة المحصنة بالفراغ.

– لي دونغ

معبد بعيد. بضعة رهبان يزورون المكان.
حفنة من المسافرين تعبر الجسر المترنح.

– خو هون

وهنا أبيات تحملك إلى فن الرسم:
مد الربيع يندفع مثل عواصف المساء.
لا أحد فوق القارب الصغير – إنه يدور فحسب.

– وي ين وو

عالياً في السماء الحبلى بالشمس – إوزة برية.
إبحار بطيء ووحيد فوق البحر الشاسع.

– لي باي

قرب القرية النهرية يتدلى المطر من سحابة.
معبد شامخ يقترب من كرة الغروب.

– سين كان

زهور اللوتس المتطايرة في الريح تفاجئ العصافير المستحمة.
السمك المهاجر يتجمع تحت ظل الجسر.

– مجهول

وثمة أبيات عن الترحال:
العصافير جميعها عادت إلى أشجارها.
مسافر يصعد الجبل بشق الأنفس.

– رين فان

هوامش (لمع من لآلئ الشعراء)

1–درب التبانة.

2–الجزء الثاني من هذا التعليق يظهر أيضاً في كتاب آو يانغ المعنون (تعليقات ستة شعراء على الشعر).

3–مي ياو شينغ، مثله مثل تاو يوان مينغ، يعتبر نموذجاً للأسلوب الواضح والبسيط، غير أن كتاباته تعرضت لبعض النقد، على نقيض تاو يوان مينغ. يكتب مي آن، على سبيل المثال، قائلاً: "شعر مي ياو شينغ ليس واضحاً، بل جافاً".

4–هذه الأبيات المشهورة لتاو يوان مينغ امتدحت للطريقة التي توحي بها باندماج الشاعر مع الطبيعة من خلال الافتقار إلى النظر الفعال؛ فالشاعر يلتقي الجبل بشكل طبيعي لحظة يصوب بصره إليه، وكأنه يهرع باتجاه صديق. باي جو يي، من جهة أخرى، يراقب الجبل باهتمام؛ وهذا يوحي بالبعد عن الطبيعة.

5–هذه قصة مشهورة، لدرجة أن الكتاب الصينيين اليوم، عندما يحارون بين كلمة وأخرى، يقولون: "ادفع" ام "اطرق"؟

6–شعر الدبلوماسي الكوري بالخجل لأنه بز شعرياً من شخص كان يظنه بحاراً عادياً من عامة الناس.

7–الدون جوان الصيني هو هان شو. ولكن توخياً للوضوح ذكر نظيره الغربي دون جوان.

8–لعبة غزل قديمة.

9-تشعر بأنها المفضلة لأنها ربما نامت مع رجل مهم.

10-سلالة (سوي) معروفة بفسقها، وقد فسر انهيارها، كما انهيار الإمبراطورية الرومانية، على أنه نتيجة لانحطاطها الأخلاقي. أطلال قصر (سوي) تظهر غالباً في القصائد الصينية التي تتحدث عن الأخلاق والجنس، أو مرور الزمن.

11-بط الماندرين، الذي يعقد قرانه مدى الحياة، يمثل صورة نمطية للتزاوج والجنس والولاء.

قصص وأقوال مأثورة
عن الأدب
مقدمة كيف تقبض على تنين

أسلوب "الحديث عن الشعر" والشعرية أصبح شكلاً أدبياً معروفاً في عهد سلالة سونغ. هذا الجنس، كما تجسد في كتابات أويانغ خيو، يجمع بين التعليقات المكثفة اللاذعة حول فن الشعر، ممزوجة بالنبرة التلقائية والفطنة المواربة، والقصص الممتعة. منذ زمن (الأغنية الجنونية) وما تلاه، بدأ فن "الحديث عن الشعر" يفرض حضوره على شكل ملاحظات عفوية، وتطور ليصبح أكثر منهجية، قبل أن تساهم عمليات الجمع العشوائية إلى ظهور مختارات أكثر تنظيماً. يرى الصينولوجي البارز ستيفن أوين أن هذا قد أدى إلى فقدان "اللون الأصلي" لهذا النمط وخفوت سحره، ويعلق قائلاً: "النزعة باتجاه المنهجية في بعض تعليقات (الأغنية الجنوبية) يجب أن تفهم في سياق شيوع شعبية الدراسات الأدبية في أواخر عهد (الأغنية الجنوبية) وأوائل عهد يوان Yuan مثقفو (الأغنية الشمالية) طوروا مظهرا للسهولة، حيث اعتبروا أن المناقشة المعقدة للشعر هي هدر للوقت. في الأغنية الجنوبية، بدأنا نلحظ بدايات لجمهور مستمع، وتستمد النصيحة من التأليف والنصح في الحكم من أساتذة كبار. صناعة الطباعة في (زهانغ هو) أشبعت رغبات الطبقة البرجوازية وحثتها على المشاركة في الثقافة النخبوية من خلال تحويل أسلوب "التعليق على الشعر" إلى ثقافة شعرية[1].

تأخذ هذه التعليقات في الأغلب طابع المذكرات اليومية، وأفضلها تلك الشذرات المصقولة جيداً كالدرر. العديد من قصص هذه المختارات تتناول أفعال وأقوال شعراء مشهورين، ممن كانوا يمثلون مشاهير زمانهم. وكانت تطبع هذه القصص من أجل الاستهلاك المحلي ويتناقلها الناس على شكل شائعات ومقتطفات كتلك التي نراها في مجلات المشاهير هذه الأيام (بالرغم من أن الغاية أكثر سمواً). يمكن أن يكون من الصعب فهم ذلك اليوم، وخاصة أن الشعر بوجه عام أصبح خارج دائرة الاهتمام الثقافي السائد. ويمكن أن يكون من الصعب أن تتخيل أن الشعر عبر تاريخ الصين، مثله مثل فن الخط، والموسيقى، كان يمثل المسلك الأوسع لتحقيق النجاح السياسي والاجتماعي.

التعليقات الواردة في هذا القسم من الكتاب تنتمي إلى فترات متباعدة ومختلفة، وتتحلى بخصائص فريدة. إن (قصص الشعر) لدى (مينغ كي) تظهر نسقاً سردياً واضحاً يتجاوز التعليقات السابقة، والناس الذين يتم ذكرهم ليسوا شعراء معروفين بالضرورة. فالقصيدة أو مجموعة القصائد، تقدم بوصفها قلب حكاية شعبية أو تاريخية أو متخيلة، وهي بذلك تبتكر شكلاً من قصص قصيرة مكثفة للغاية تستثمر العناصر الشعرية. من جهة أخرى، فإن الكاتب وانغ تشوان شان الذي ينتمي إلى حقبة كينغ، يضع على عاتقه بطريقة لا تخلو من الجدية مهمة فضح ونسف ممارسات أكاديميين متحذلقين، ويطرح خطة لممارسة شعرية متينة تقوم على المحاكاة.

وانغ غووي (1877 – 1927) هو من أوائل الشعراء الحداثيين في شكل القصيدة المقفاة Ci، 88 وقصائد "سي" تكتب وفقاً لنسق عروضي وهي مشتقة في الأصل من أغاني آسيا الوسطى). ولكونه عالماً وبروفسوراً مشهوراً، فقد كان مطلعاً على الفلسفة الغربية وعلم

الجمال الغربي. وقد عمل لفترة وجيزة من الوقت (في عام 1923) معلماً للإمبراطور الصيني هن ري بويي، حيث كان هذا الأخير حاكماً ضعيفاً في تلك الآونـة، ويرزح تحت رحمة أمراء الحرب والحكومة الجمهورية. في عام 1927 ذهب وانغ غووي إلى القصر الصيفي الملكي، وفيما كان يعبر بحيرة كون مينغ غرق ومات هناك لأسباب ما تزال موضع جدل. ربما خشي أن صداقته للسلالة المختصرة يمكن أن يقوده إلى حبل المشنقة على يد القوميين، الذين كانوا يزحفون على بكين، أو ربما كان يعاني ضغوطات مالية وعائلية لا تطاق. البعض يرى موته مشابهاً لموت سيكونغ تو (والذي قيل بأنه قتل نفسه احتجاجاً على قتل لي يو). هذه الميتات تتوافق مع التقليد الصيني المملوء بعمليات الانتحار السياسية والأخلاقية والمتمثلة بكو يوان، الشاعر الكونفوشيوسي المنفي، الذي أغرق نفسه في نهر ميللو في هونان من أجل أن يحذر ملكه الغافل من الأخطار المحدقة بعرشه من ولاية كين المجاورة.

"الشعر تنين"، يكتب زهو زهين خين. أحد النقاد، واسمه واغ تشوان شان، يريد أن يقبض عليه ويشرحه؛ آخرون يريدون أن يبقوا عليه غامضاً وكلياً. ثمة حكاية شعبية صينية عن شاب يعمل لدى سيده يريد أن يتعلم مهارة يكسب منها قوت يومه. هذا السيد يعلمه جميع الطرق التي يذبح ويسلخ فيها التنين. وبعد بذل جهد كبير والكثير من النفقات، يعود الشاب إلى أبيه ويخبره بشموخ عن مهارته الجديدة. ويرد أبوه، "عظيم! ولكن لدي سؤال واحد... أين يمكنك أن تجد تنيناً؟" هؤلاء النقاد يخبروننا أين يمكث الوحش الخرافي، بالرغم من أنهم يختلفون فيما بينهم حول الحيل والفخاخ التي يجب أن تنصب، إلا أن الإصغاء إلى الجدل الدائر بين هؤلاء الصيادين الأدبيين يوحي بحقيقة جوهرية واحدة: ثمة طرق عدة للقبض على التنين.

قصص وأقوال مأثورة عن الأدب

1

خلال حكم الملك رين زونغ، بعض كبار المسؤولين ممن اشتهروا بشعرهم، أعجبوا بأسلوب باي جويي البسيط، وكانت تأتي أبياتهم بسهولة كبيرة[2]. أحدهم كتب أبياتاً مقفاة من مثل:

أتقاضى راتباً من أجل أن أجعل زوجتي وأطفالي بدينين،

ولكن لا شيء يتقاضاه خدمي وشعبي.

وقام أحدهم بإغاظة المؤلف: "البارحة شاهدت على الطريق الرئيسي عربة تنقل حمولة ثقيلة للغاية. وكانت الثيران تنوء تحت هذا العبء. لا بد أن يكون ذلك زوجتك البدينة، وأطفالك!" أولئك الذين سمعوا الحكاية، أشاعوا حيثما ذهبوا بوصفها طرفة ظريفة.

من: تعليقات على الشعر كتبها أويانغ خيو (1007 – 1072)

2

ظل الشاعران مينغ جياو وجياد داو فقيري الحال حتى وفاتهما، وكانا يكتبان قصائد تعكس حياتهما الصعبة. ولمينغ قصيدة عن بيت متنقل:

استعرت عربة لنقل أثاثي

غير أن أمتعتي لا تصنع حتى حملاً.

يقول إنه فقير جداً لدرجة أنه لا يملك شيئاً ينقله. ولديه قصيدة أخرى يعبر فيها عن امتنانه للناس الذين تصدقوا عليه ببعض أعواد الحطب:

الحرارة تجعل جسدي المحني يستقيم.

ويقول الناس إن المرء لا يمكنه أن يكتب أبياتاً مثل هذه دون أن يكون قد جرب المعاناة حقاً. يكتب جيا داو:

أملك حريراً أبيض في شاربي

لكنني لا أستطيع أن أستخدمه لحياكة قميص دافئ.

حتى وإن استطاع المرء أن يحيك الشعر، فلن ينفعه ذلك. جيا داو لديه قصيدة بعنوان "جوع الصباح" نقتطف منها:

أجلس وأستمع لآلة القانون على السرير الغربي:

وتران أو ثلاثة يتقطعان من البرد.

يقول الناس إن هذه القصيدة تظهر بأن الجوع، كالبرد، لا يمكن احتماله.

من: تعليقات على الشعر لأويانغ خيو

3

أخبرني مي ياوشين أنه بالرغم من أن الشاعر يمكنه أن يصك مفرداته، غير أن ذلك ليس بالأمر الهين. فقط عندما تكون الفكرة أصيلة واللغة مصقولة، وعندما تصل القصيدة إلى مكان لم يصله الناس من قبل يمكن تحقيق ذلك. أن تصف موضوعاً صعباً، عليك

أن تجعله مرئياً للقارئ. يجب أن ترن القصيدة في داخلك بعدما تنتهي من كتابتها، ويجب أن يجد فيها المرء معنى يتجاوز ما تعبر عنه الكلمات. يكتب جياد داو، على سبيل المثال:

أجمع فاكهة الجبل في سلة من الخيزران

وأحضر ماء الربيع بإناء من طين الأرض.

هذا الوصف لمنطقة جبلية بعيدة يدل على أن المسؤول الذي كتب القصيدة لا علاقة له بالشعر. وهذه الأبيات ليست بنفس الجمال الذي تقوله الأبيات التالية، وهي تتحدث عن موضوع مشابه:

هذا البلد قديم جداً حتى أن جذور شجرة العالم مكشوفة

المسؤول هنا صادق جداً حتى أن عظام فرسه تبرز من جلدها.

هذان البيتان جيدان لأنهما يصوران موضوعاً صعباً ويظهران إيقاعاً قوياً.

يقول ميي ياوشن إن ما يختزنه الكاتب في قلبه سيعانيه القارئ أيضاً. على سبيل المثال:

قمر ونزل مسقوف بالقش. ديكة تصيح.

آثار أقدام فوق جسر حجري مغطى بالصقيع.

– وين تينغ جون

طيور غريبة تصرخ في حقول شاسعة.

الشمس الغاربة تثلج صدر المسافر.

– جيا داو

هذان المثالان يتجاوزان تخوم ما تصفه الكلمات حيث يعبران عن معاناة المسافر ومشتقاته.

من: تعليقات على الشعر كتبها أويانغ خيو

4

تعود مي ياو شن القول إنه بالرغم من أن الأبيات قد تكون سلسلة، فإنها ستعاني النقص إذا لم تكن سهلة وشائعة. على سبيل المثال، هناك أبيات مهداة إلى صياد سمك يقول:

إنه لا يرى ما يحدث في السوق.

هو يسمع فقط صوت الماء والريح.

وعلق أحدهم، "ثمة أغراض لمرض الكلية والكبد"[3] شخص آخر كتب هذين البيتين عن الشعر:

عبثاً أبحث عنه النهار بطوله.

لكنه يأتي إلي لوحده في النهاية.

ويشير هذا في الأصل إلى صعوبة العثور على أبيات جيدة، غير أن أحد الظرفاء علق بالقول إنها أبيات تتحدث عن قطعة ضائعة، وهذا ما جعل الجميع ينفجر بالضحك.

من: تعليقات على الشعر لأويانغ خيو

5

كان لي تشين يسافر بصفة ناسك مقيم، وذات يوم، وبينما كان في طريقه لرؤية إحدى الشلالات، التقى بسيد من أتباع زين هو هواغ نبي، والذي أصبح رفيق سفر. قال هوانغ نيي: "لدي بيتان لهذا الشلال، غير أني لا أستطيع أن أنهي القصيدة". فرد لي تشن: "سوف أكملها لك" فانبرى هوانغ إلى إلقائها:

إنه يجري قاطعاً آلاف الصخور

وعشرة آلاف واد، لكنه لا يستسلم.

فقط عندما تراه من بعيد

تدرك أنه أتى من مكان شاهق.

لاحقاً، أصبح لي تشن ملكاً. وهذه القصيدة تعكس طموحه[4].

من تعليقات جين خي على الشعر

وتم جمعها بين عامي 1174 و 1189 على يد تشين يانك خياو

6

خلال فترة كاي يوان في عهد سلالة التانغ، أمر الإمبراطور مينغ خليلات قصره بحياكة سترات حريرية لجنوده الذين يقاتلون على الحدود. أحد الجنود عثر على قصيدة في جيب سترته يقول:

أيها المسافر البعيد الذي يقاتل على جبهة رملية

ملفوحاً بالبرد، كيف تنام؟

أصابعي حاكت معطف المعركة هذا؛

بين أي يدين سيقع؟

رتقته مرتين بالعواطف،

وحشوته بالقطن والحب.

غير أن حياتي انتهت.

هلا تزوجنا في الحياة الثانية؟

قدم الجندي القصيدة للمارشال، وقام الأخير بإعلام الإمبراطور بالقضية. أرسل الإمبراطور خبراً إلى القصر يطلب من مؤلفة القصيدة أن تظهر للعيان، دون أن تخشى العقاب. واعترفت إحدى الخليلات

قائلة: "أستحق أن أقتل عشرة آلاف مرة" تأثر الإمبراطور مينغ تأثراً شديداً، وأصدر مرسوماً يسمح لها بأن تتزوج من جنديها، قائلاً: "سوف أمنحك فرصتك في هذه الحياة".

من: قصص شعرية لمينغ كي (سلالة سونغ)

7

رجل يدعى خو ديان تزوج من الأميرة تشين لي تشانغ. وعندما كان إقليم تشين على وشك أن يحتل، قال الرجل لزوجته: "عندما يسقط البلد، سوف تؤخذين لا محالة إلى بيت رجل متنفذ. إن لم يمت حبك لي، آمل أن تأتي الفرصة ونكون معاً مرة أخرى. "وهكذا كسر العاشقان مرآة إلى نصفين ووعدا أن يبيع كل منهما نصف مرآته في سوق العاصمة في الخامسة عشر من كانون الثاني في محاولة للقاء من جديد. وشاءت الأقدار أن تهزم تشين وتؤخذ الأميرة لتصير امرأة يانغ سو، وهو دوق من مقاطعة يو. كتب خو قصيدة قال فيها:

ذهبت المرأة والمرآة.

المرآة تعود. غير أن المرأة لا تعود.

إنني لا أرى طيف السيدة القمر.

ضوء قمر خاو وساطع يستمر.

استلمت الأميرة القصيدة وأجهشت بالبكاء طويلا. عندما علم يانغ سو بهذا، أرسل في طلب خو ديان من أجل أن يعود إلى زوجته. غير أنه أمر الأميرة لي تشانغ أن تكتب قصيدة عن الحالة. وقصيدتها تقول:

أشعر بالحيرة تعصف بي

زوج جديد يواجه آخر قديماً
وأنا لا أجرؤ أن أبكي أو أضحك.
كم من الصعب أن تكون امرأة.

من: قصص شعرية لمينغ كي (سلالة سونغ)

8

الشاعر التانغي غو كوان كان في جولة على المناطق الملكية في لويانغ عندما عثر على ورقة خضراء تطفو فوق ساقية تخرج من القصر. على الورقة وجد قصيدة مكتوبة تقول:

بعدما أخذوني إلى غياهب القصر،
لم أر الربيع عاماً بعد آخر.
الآن أكتب قصيدة على هذه الورقة
وأرسلها إلى رجل يحب.

في اليوم التالي كتب غو كوان هذه القصيدة كرد لها وأرسلها في ماء الساقية الذاهبة إلى القصر، وفيها يقول:

في غياهب القصر تتساقط الزهور والعندليب حزين؛
في قصر شانغيان خليلة تتلظى بالحزن.
المدينة المحرمة لا يمكنها أن تحرم الماء من الجريان شرقاً.
لمن سأهدي هذه القصيدة التي على ورقة؟

بعد عشرة أيام، عثر زائر آخر كان يتجول في أنحاء القصر، على قصيدة أخرى مكتوبة على ورقة، فعرضها على غو كوان:

قصيدتي المكتوبة على ورقة هربت من المدينة المحرمة.

من أنت يا من رددت بكل هذا الحب؟

أتنهد وأحسد الورقة في الموج

وهي تبحر بلا جهد صوب الربيع.

من: قصص شعرية لمينغ كي (سلالة سونغ)

9

كان الأمير كينغ مفتوناً بوصيفاته، وكانت لديه العشرات من النسوة الجميلات والموهوبات. على يسار سكنه كانت تعيش زوجة صانع كعك، نحيلة شاحبة وجميلة جداً. وفي اللحظة التي رآها فيها الأمير، لم يستطع أن يزيح بصره عنها، وأعطى كمية كبيرة من المال إلى زوجها وأجبرها على تركه. وفضلها الأمير على سواها. وبعد مرور عام، سأل المرأة: "هل ما زلت تشتاقين إلى خبازك؟" ظلت المرأة صامتة ولم تجب. فاستدعى صانع الكعك وجعله يقابل زوجته. نظرت المرأة إلى زوجها والدموع تفيض من عينيها، ولم تكن لتحتمل المشهد. كان ثمة أكثر من عشرة ضيوف حاضرين في بيت الأمير، وجميعهم من الكتاب والعلماء المعروفين، وخيم عليهم الحزن لما رأوه. وأمرهم الأمير بكتابة قصائد عما حدث. رئيس المستشارين، الشاعر ونغ وي، كان السباق في إتمام قصيدته:

حتى في مكانتها ومكانها المرموق

لم تستطع أن تنسى زوجها السابق

انظر إليها، إنها زهرة.

عيناها تفيضان.

وليس لديها ما تقوله للملك تشو[5].

من: قصص شعرية لمينغ كي (سلالة سونغ)

10

لم يكن الجنرال زهو تاو يميز بين الناس العاديين والعلماء عندما كان يجند الرجال ويضمهم إلى جيشه. طلب من الجميع الحضور إلى ملعب للكرة[6]، وذهب ليتفحصهم. كان ثمة رجل بينهم بدا مهذباً فوق العادة، وخطوته أنيقة جداً. سأله الجنرال: "ما هي مهنتك؟" فأجابه: "أكتب الشعر". فسأله الجنرال: "هل أنت متزوج؟" أجابه العالم: "أجل متزوج" فأمره الجنرال أن يؤلف قصيدة عن زوجته في الحال. دون تردد كتب الشاعر هذه القصيدة بالريشة والحبر:

من السهل أن تكتب قصيدة بالريشة

ولكن من الصعب أن تحمل سهماً وتقاتل.

أنا معتاد على التقلب معك تحت لحاف دافئ

مثل بط الماندرين،

ويقلقني برد الجبهة عند بوابة الكراكي،

حيث معطفي ينفض عن جسدي الهزيل

والدموع تغرق غطاء وسادتي.

سوف أحاول أن أدخر حبري

من أجل أن أرسم حاجبيك عندما أعود.

بعد ذلك سأله الجنرال أن يكتب قصيدة أخرى بلسان زوجته:

شعري الطويل ودبوس شعري أشياء نادرة،

وما زلت أرتدي فستان عرسي.

جاء موسم زراعة المحصول،

ولكن ما من أحد هنا ليعمل.

من المفترض أن يكون زوجي قد عاد إلى المنزل
ولكن لم يجئ أحد.
أعجب الجنرال بالرجل فأعطاه بعض النسيج وقرر أن لا يجنده.

من: قصص شعرية، لمينغ كي (سلالة سونغ)

11

كان كوي فو من مدينة بولينغ وسيماً جداً، معتداً بنفسه، ويحب العزلة، غير أنه فشل في امتحانات الخدمة الحكومية. وبمناسبة (يوم السطوع الصافي)، عندما يكنس الناس القبور، قام بزيارة إلى الجزء الجنوبي من العاصمة وحيداً. وصل إلى مزرعة ضخمة انبسطت على مساحة هكتار كامل، تنتشر فيها الورود المزهرة والأشجار الزمردية. لم يكن يبدو أنه يوجد أحد في تلك الأنحاء، بالرغم من أن كوي طرق على الباب لوقت طويل. أخيراً بانت فتاة من بين درفتي الباب وسألته: "من أنت؟" أخبرها باسمه وقال: "إنني أقوم بنزهة ربيعية فحسب، وأنا عطشان جداً". ذهبت الشابة لإحضار كوب من الماء بعدما فتحت له الباب واصطحبته إلى باحة الدار. سحبت مقعداً وطلبت منه الجلوس. وقفت قبالة شجرة خوخ مشذبة وراحت تنظر إليه بحب، وبدأت تستميله إليها من خلال نظرات وحركات تضج بالجاذبية. ولكن عندما بدأ كوي بمغازلتها، راحت تحدق به دون أن تجيب. عندما ودعها كوي مشت معه إلى الباب وقفلت راجعة كأنها كانت تريد أن تكبح جماح عواطفها. وظل كوي ينظر إلى الخلف. لكنه لم يرجع إلى تلك المزرعة إلا بعد وقت طويل. في مناسبة (يوم السطوع الصافي) التالية تذكر كوي تلك الفتاة الشابة. ولم يستطع أن

يمنع نفسه من الذهاب إلى المزرعة للبحث عنها. الجدران لم تتغير، والباب لم يتغير، بالرغم من أنه كان مقفلاً من الخارج. كتب قصيدة على الدرفة اليسرى من الباب تقول:

في مثل هذا اليوم من السنة الماضية، خلف هذا الباب،

كان وجهها يتبادل الحمرة مع زهور الخوخ،

أين وجهها الآن؟

زهور الخوخ تضحك مع ريح الربيع.

بعد مضي عدة أيام، وجد نفسه في الشطر الجنوبي من المدينة، فذهب إلى البيت ثانية، وسمع أحدهم يبكي في الداخل. طرق كوي على الباب. خرج رجل عجوز وسأله: "هل أنت كوي فو؟" أجابه: "نعم". استأنف الرجل بكاءه من جديد، وقال: "لقد قتلت ابنتي!" صعق كوي وخانته الكلمات ولم يدر ما يقول. قال الرجل العجوز: "كانت ابنتي قد بلغت السن، وكانت تعرف القراءة ولم تكن مخطوبة. منذ السنة الماضية، لاحظت أنها شاردة النظرات. بدت وكأنها قد أضاعت شيئاً. قبل بضعة أيام خرجنا معاً. عندما عدنا قرأت الحروف على الدرفة اليسرى من الباب، وما إن دخلت المنزل، سقطعت صريعة مرض عضال. رفضت أن تتناول الطعام لعدة أيام، والآن هي ميتة. أنا رجل عجوز، والسبب الذي منع ابنتي من الزواج هو أنني كنت أبحث عن شاب يعتني بي. الآن هي ميتة، وأنت الذي قتلتها. "وراح يجهش بالبكاء من جديد. حزن كوي كثيراً وطلب من العجوز أن يسمح له بالدخول إلى المنزل من أجل أن ينتحب أمام الجثة. بدت الفتاة ذاتها، مستلقية على السرير. حضنها كوي بكلتا ذراعيه باكياً وقال: "أنا هنا، أنا هنا". وبعد أن ضمها لبعض الوقت، تحركت

جفونها قليلاً، وفي غضون اثنتي عشرة ساعة عادت إلى الحياة بشكل كامل. عمت الفرحة الرجل العجوز، ورش بركاته على زواج العاشقين الشابين.

من: قصص شعرية لمينغ كي (سلالة سونغ)

12

ذات يوم، التقى زهو كينغ يو بالأمين العام الأول لهيئة المياه زهانغ جي، وهو رجل يكن تقديراً عالياً لقصائد زهو. طلب (زهانغ) من (زهو) أن يعطيه جميع قصائده واختار منها ستة عشر قصيدة ليضعها في أكمامه الطويلة من أجل أن يوصي بها للآخرين. وبما أن لزهانغ جي سمعة كبيرة، بدأ الناس ينسخون قصائد (زهو) ويتلونها. لاحقاً، استطاع زهو أن يجتاز امتحانات الخدمة الحكومية. وقبل الامتحان بقليل كتب زهو قصيدة لزهانغ تحت عنوان (العروس الجديدة) وفيها يقول:

في الليلة الماضية انطفأت الشموع الحمراء في جناح العروس.
كانت تنتظر انبلاج الفجر لكي تلقي التحية على عائلتها الجديدة.
وبعد أن حضرت نفسها وتبرجت، قالت له هامسة:
"هل هذه الطريقة في رسم حواجبي دارجة؟"
وأجابه زهانغ جي بالقصيدة التالية:
الجمال من مكياج (يو) الجديد يقفز من قلب المرآة.
تتصرفين بتحفظ لأنك تعرفين بأنك حلوة.
سيدات القصور الثريات لا يبزنك جمالاً.

أغنية فتاة البندق المائي تساوي عشرة آلاف قطعة ذهبية.

وبعد هذا الحوار، أصبح زهو مشهوراً في كل أنحاء البلاد.

من: التعليقات الكاملة على الشعر في عهد سلالة تانغ

المجلد الثالث، ليو ماو (1127 – 119)

13

بيت جيا داو القائل: "راهب يطرق باباً في ضوء القمر"، هو مجرد تكهن وخيال، مثل الحديث عن حلم رجل آخر. حتى وإن كان الوصف دقيقاً كل الدقة، إلا أنه غير مرتبط بالقلب. أولئك الذين يعون هذه النقطة يدركون أن هذا البيت هو مجرد اختلاق، بما أن الشاعر لم يستطع، كما هو معروف، أن يقرر فيما إذا كان سيختار فعل "يطرق" أم "يدفع" لو كان هناك خيط مباشر من المشهد إلى القلب، لما كان هناك خيار بين "يدفع" و "يطرق". "فقط واحدة من هاتين الكلمتين هي الصحيحة. العواطف المستندة إلى مشاهد حقيقة تكون تلقائية ورائعة. إذن لماذا كل هذا اللغط حول هذه الأشياء؟ على سبيل المثال، بيت وانغ وي القائل: "نهر طويل. الشمس الغاربة دائرية" لا يقدم مشهداً معداً سلفاً، وبيته: "أنادي على الحطاب عبر المياه"، ليس من الخيال. بل هي أبيات يمكن وصفها كما وصفها معلمو زين "بالتلقائية".

من: تعليقات حيوية على الشعر لوانغ تشوان شان

(والمعروف أيضاً بوانغ فوزهي، 1619 – 1692)

14

تأمل بهذين البيتين:

شمس غاربة فوق الرايات العظيمة.

في الريح الناهقة، تصهل الخيول.

– دو فو

كيف يمكن للمرء أن يقول إن أصل هذين البيتين هو:

الخيول تنهق وتصهل.

بطيئة ترتفع الرايات.

من: كتاب الأغاني

مع الاختلاف في غاياتها، هذه المشاهد السعيدة والحزينة لا يمكنها أن تستعير من بعضها. هذه مجرد مصادفة بالكلمات. المشكلة مع أناس سلالة سونغ هي أنهم دائماً يبحثون عن أصل كل شيء. وبخاصة أولئك النقاد النزقين الذين يطالبون بأصل لكل بيت شعري، وكأن الشعر هو دوماً أصل الشعر. وبهذه الطريقة تراهم يبحثون عن مبررات ذاتية وعن أسس لأحكامهم.

بيت دو فو يقول:

أنا ذاهب لكي أشتري غالوناً من النبيذ

بما أنني أحمل بالصدفة ثلاث مائة قطعة برونزية.

على هذا الأساس، استطاعوا أن يقدروا ثمن النبيذ في عهد سلالة التانغ. غير أن أبيات كوي غوبو تقول:

أن تشتري غالوناً من النبيذ

فهذا يكلف عشرة آلاف قطعة نقدية فقط.

إذن، إذا كنت تريد أن تشتري من بائع دو فو وتبيعه إلى كوي غوبو، يمكنك أن تحصل على ربح يساوي ثلاثين ضعفاً مما أنفقته! أولئك الذين يبحثون عن المصادر يخرجون بحماقات مثل هذه.

من تعليقات حيوية على الشعر لونغ تشوان شان

15

كان فانغ سي يكره أساليب الكتابة الفوضوية السائدة في عصره (سلالة كينغ). وعلق: "الشعر تنين: رأس، ذيل، مخالب، قرون، حراشف، وأنياب. إذا غاب أحد هذه العناصر فأنه ليس تنيناً". غير أن الوالي قال محتجاً: "الشعر تنين سحري. عندما ترى رأسه، لا ترى ذيله. أو، إذا كان متوجاً بالغيوم، ترى منه مخلبه، أو حراشفه. كيف يمكنك بالتالي أن ترى الجسد كله؟ هذا ينطبق فقط على النحت أو الرسم". وأنا أقول، التنين السحري يمكن أن يتمدد أو ينكمش، ويتبدل دون أن يكون له شكل ثابت. وبالرغم من أنك تدركه بصورة غامضة – فقط مخلب واحد أو حرشفة واحدة – إلا أنك تعرف أن رأسه وذيله هناك. ولكن إذا حصرت نفسك بما ترى فقط وعممت ذلك على أنه التنين كله، فإن النحاتين والرسامين لن يضمروا لك سوى كلمات التأنيب.

من: تدوين أحاديث

عن التنين لزهاو زهي خين (1662 – 1744)

16

سؤال: ”ما الفرق بين الشعر والنثر؟“

جواب: ”بالرغم من أن الشكل والمفردات تختلف، إلا أن رسالة الكاتب تظل متشابهة. الرسالة مثل الأرز. عندما تكتب نثراً، أنت تطبخ الأرز. عندما تكتب الشعر، فإنك تحول الأرز إلى نبيذ. طهو الأرز لا يغير شيئاً من شكله، لكن تحويله إلى نبيذ يغير شكله وخصائصه. الأرز المطبوخ يجعل المرء يشبع، ويحيا حياة كاملة – هذا هو المسار الطبيعي للقضايا الإنسانية. النبيذ، من جهة أخرى، يجعل المرء ثملاً – ويجعل السعيد حزيناً والحزين سعيداً. إن أثره، وبكل رفعة، يقع خارج الشرح. الأفكار في القصائد الكافينغية والخيابونية من (كتاب الأغاني) لا يمكن التعبير عنها بطريقة مباشرة في النثر. ألا يظهر ذلك أيضاً بأن الشعر مسعف أيضاً؟“

من: الرد على أسئلة وانغ جي لينغ على الشعر

لوانغ كيو (سلالة كينغ)

17

ثمة وعي عميق به بوجودي، وثمة وعي عميق بدوني[7]. تأمل هذه الأبيات:

بعينين دامعتين أتحدث إلى زهرة، غير أن الزهرة لا تجيب.

فوضى من البراعم الحمراء تتطاير حول الغروب المتأرجح.

– إلى لحن (غراب على غصن) لفينغ يانسي

وحيداً في النزل أغلق الباب في وجه الربيع البارد.

الشمس المائلة تشيخ في أغنية العصافير.

– إلى لحن (المشي وفق عشب غض) لكين غوان

هذه أمثلة عن الوعي العميق بمشاركة الذات. والآن تأمل بهذه الأبيات:

وأنا أجمع زهور الأقحوان عند السياج الشرقي

عيناي الكسولتان وقعتا على الجبل الجنوبي.

– "احتساء النبيذ" لتاو يوان مينغ

الأمواج الباردة تظهر، تظهر. عصفور أبيض

يحلق هابطاً، هابطاً.

– "الوداع عند ينغ باغودا"، ليوان زهين

هذه أمثلة عن الوعي العميق دون مشاركة الذات. الوعي العميق بمشاركة الذات يستخدم الذات لمراقبة الأشياء، وبالتالي تتلون جميع الأشياء بذاتي. في الوعي العميق دون مشاركة الذات، تراقب الأشياء الأشياء، ولا يستطيع المرء أن يفرق بين ما هو "آخر" وبين ما هو "لي".

من: تعليقات عالمية إنسانية

على الشعر لوانغ غووي (1877 – 1927)

بين أغصان المشمش الحمراء يمر الربيع ضاجاً.

إن كلمة "ضاج" هي التي تساهم بصياغة الوعي العميق.

تنفتح الغيوم. قمر. الزهور تلعب مع الظلال.

كلمة "تلعب" هي التي تخلق هذا الوعي العميق.

المصدر السابق

مرة كنت غانية

والآن أنا زوجة زير نساء.

إنه يسافر دائماً ونادراً ما يأتي إلى البيت.

صعب جداً أن أمكث هنا في سريري الفارغ.

– القصائد التسعة عشر القديمة، "رقم 2"

لماذا لا تلجم حصانك

قبل الآخرين عند مهبط المعبر؟

الفقر والتواضع لا فائدة منهما

والرحلات الشاقة مشكلة كبيرة.

– القصائد التسعة عشرة القديمة، رقم 4

هذه أمثلة متطرفة عن السخافة والبذاءة، لكنها لم تؤخذ كقصائد وضعية متدنية لأنها صادقة مع الحياة. أساتذة القصيدة العظيمة Ci في السلالات الخمس وسلالة الأغنية الشمالية كتبوا بنفس الطريقة. هذا لا يعني أنهم لم يكتبوا أبياتاً بذيئة، لكنك لا تشعر أنها رخيصة بسبب كونها دافئة ومؤثرة. هؤلاء الشعراء لا يخلون من مفردات عادية، غير أن ذلك يرفع من طاقة القصيدة لديهم. المشكلة مع اللغة البذيئة أو العادية لا تتعلق بقضية البذاءة أو التفاهة بحد ذاتها، بل في كونها تصيب القصيدة بعدوى الكلمات الطافية والدخيلة.

من: تعليقات عالمية إنسانية على الشعر،

لوانغ غووي (1877 – 1927)

هوامش (قصص وأقوال مأثورة عن الأدب)

1-راجع كتاب ستيفن أوين (قراءات في الفكر الأدبي الصيني) منشورات كمبريدج وجامعة هارفارد، 1992، وخاصة الصفحات 360 – 361.

2-قصائد باي جوي مكتوبة غالباً بأسلوب واضح ومتعمد، وأحياناً تحاكي الأغاني الشعبية التي جمعها معهد الموسيقى في القرن الثاني الميلادي. ووفقاً لحكاية شائعة، اعتاد باي أن يتلو قصائده على مسامع امرأة فلاحة عجوز ويغير أي بيت لا تفهمه المرأة.

3-استخدم الصياد هنا كرمز "للإنسان الطبيعي"، ويذكر بالخطاب الذي التقاه الشاعر الأمريكي ديفيد ثورو عند بحيرة والدن Walden Pond إنه مندمج مع الطبيعة حتى أنه – وإن كان محاطاً بحياة المدينة والعلاقات التجارية – يسمع الماء والهواء فحسب. أويانغ يسخر من هذه الأبيات، من خلال إهماله للسياق العام للقصيدة في التقليد الصيني، مسيئاً قرايتها عن عمد.

4-أصبح لي تشين (684 – 762) الإمبراطور خوانغ زونغ في سلالة التانغ. وفي عهد هذه القصة، تنكر (لي) في زي راهب ضد الإمبراطور ووزونغ، الذي رأى فيه منافساً محتملاً على العرش. يفسر لي تشين البيتين الأولين بوصفهما إشارة إلى كل من الشلال وذاته، (كلاهما لا يمكن أيقافه، وكلاهما ينحدر سراً من مكان عال) ويكتب قصيدته موحياً بمصيره اللامع.

5-عبارة "ملك تشو" تشير إلى حالة مشابهة في التاريخ. في فترتي الربيع والخريف (770 – 476 قبل الميلاد) هزم ملك تشو حاكم (خي) وأخذ زوجته للزواج منها. وبالرغم من أن السيدة خي أصبحت أما لولدين له، ووريثين لعرشه، لكنها لم تنطق بكلمة مع الملك تشو.

6-يستخدم الحقل كملعب للنشاطات الرياضية وهي مزيج من كرة القدم والهوكي. كانت الكرة الناعمة تنقل بالقدم والصدر والركب.

7-تعبير "الوعي العميق" أو jing jie، مصطلح يصعب القبض عليه حتى في الصينية. وقد كتب الباحثون مقالات لا تحصى، وكتاباً واحداً على الأقل، في مناقشة هذا المصطلح. والحق، أن العبء الأكبر في مختارات وانغ غووي لهذه التعليقات على الشعر يكمن في محاولته تفسير وشرح هذا المصطلح الشعري عبر أمثلة كثيرة. ويكتب وانغ أن jing لا تشير فقط إلى المشاهد أو الأشياء. المتعة، الحزن، الغضب، والسعادة، جدميعها تشكل الوعي العميق في القلب الإنساني. إذن، إذا استطعت أن تكتب عن مشاهد حقيقية، وأشياء وعواطف حقيقية، فأنت تمتلك الوعي العميق. (jing jie) وإلا فلا".